

المقاومة المدنية العالمية ضد إسرائيل

دراسة حالة: حركة مقاطعة إسرائيل وسحب الاستثمارات وفرض العقوبات*

Boycott, Divestment, Sanctions (BDS)

الزهراء نادي حافظ**

* بحث مقدم لنيل درجة البكالوريوس في العلوم السياسية، من قسم العلوم السياسية، بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية جامعة القاهرة، بإشراف أستاذ العلاقات الدولية بنفس الكلية: د. أميرة أبو سمرة.
** باحثة في العلوم السياسية.

إهداء

إلى المقاومة وكل مقاوم

إلى أساتذتي قناديل النور في العتمة

إلى أصدقائي أقمار الليالي وشموس النهار

قائمة المحتويات

الفصل الأول: الإطار النظري: مفهوم المقاومة الحضارية المدنية وأنماطها: حركات المقاومة المدنية: فواعل جدد

- 5 - مقدمة.
- 7 - المشكلة البحثية وأسئلة الدراسة.
- 9 - أهمية الدراسة.
- 9 - الأدبيات السابقة.
- 14 - الإطار النظري: مفهوم المقاومة الحضارية وأنماطها.
- 18 - منهج الدراسة: هيكل الفرص السياسية كأداة لتحليل نشاط الحركة.

الفصل الثاني: ظهور حركة المقاطعة BDS

- 27 مقدمة
- 27 - المبحث الأول: موجز لتاريخ المقاطعة الفلسطينية.
- 31 - المبحث الثاني: أنماط المقاومة الحضارية (المدنية والمسلحة) للاحتلال.
- 38 - المبحث الثالث: السياق الفلسطيني لنشوء الحركة.

43 خلاصة

الفصل الثالث: نشاط حركة المقاطعة BDS

- 47 مقدمة
- 47 - المبحث الأول: السياق الحالي للحركة: تراجع فلسطيني وعربي شعبي وتطبيع رسمي.
- 51 - المبحث الثاني: التعريف بالحركة: طبيعتها، وأهدافها.
- 55 - المبحث الثالث: هيكل وعمليات حركة المقاطعة.
- 61 - المبحث الرابع: تقييم خطابات الحركة.

66 خلاصة

الفصل الرابع: فعالية حركة المقاطعة BDS

- 69 مقدمة
- 69 - المبحث الأول: إنجازات حركة المقاطعة.
- 79 - المبحث الثاني: رد الفعل الصهيوني.
- 80 - المبحث الثالث: تحديات وقيود حركة المقاطعة.

82 خلاصة

83 خاتمة الدراسة

85 قائمة المراجع

الفصل الأول: الإطار النظري: مفهوم المقاومة الحضارية المدنية وأنماطها:
حركات المقاومة المدنية: فواعل جدد

- المشكلة البحثية وأسئلة الدراسة.
- أهمية الدراسة.
- الأدبيات السابقة.
- الإطار النظري: مفهوم المقاومة الحضارية وأنماطها.
- منهج الدراسة: هيكل الفرص السياسية كأداة لتحليل نشاط الحركة.

مقدمة:

كانت العقود الأولى من القرن الحادي والعشرين حافلة بتغييرات هامة في جميع أنحاء العالم. ولا يزال العالم يعاني من التداعيات المريرة للحرب العالمية على الإرهاب التي أعقبت أحداث 11 سبتمبر 2001 والغزو الأمريكي البريطاني للعراق واحتلاله، والأزمة المالية الدولية في 2007-2008 والركود الذي نتج عنها، ثم الربيع العربي وظهور في بعض الأحيان تداعيات كارثية للثورات المضادة كالحروب المتعددة في سوريا واليمن وليبيا. أزمات اللاجئين العديدة في عام 2015 وما بعده، وصعود "دونالد ترامب" في الولايات المتحدة، وتمكين إدارته لمجموعة متزايدة من القادة الاستبداديين على نطاق واسع من البلدان¹. كلها أسباب تضع المجتمعات المهمشة -اللاجئين، والمهاجرين، والأطفال، والفقراء بشكل عام- في خطر كبير. تتنافس كذلك الأحزاب التي تركز على العنصرية وكرهية الأجانب وجشع الشركات وكره النساء والعسكرة وكرهية الإسلام، على الدعم الشعبي والسلطة في العديد من البلدان، وتحقق أحدهما أو كليهما في أماكن كثيرة جدًا، ويدفع مئات الملايين من الناس الثمن.

في الوقت نفسه، تستمر الحركات الاجتماعية في الصعود وتتحدى تلك الاتجاهات الخطيرة. نشأت حركات مقاومة جديدة، وحركات خاملة أعيد تنشيطها، كما أعادت بعض الحركات تصورها، موجهةً اهتمامها نحو المستقبل لمواجهة الأزمات المحلية والوطنية والعالمية القائمة والمتصاعدة بسرعة. في بعض البلدان، تحولت الحركات الاجتماعية إلى أحزاب سياسية، وبدأت في التعامل مباشرةً مع السلطة. ترافقت تلك التطورات مع نمط متسع من الانتفاضات غير المسلحة -للفقراء والمجتمعات الملونة، والمدرسين والممرضات، والعمال ذوي الأجور المنخفضة، والأقليات العرقية والدينية المضطهدة، والمدنيين في مناطق الحرب والأشخاص الذين يعيشون تحت الاحتلال العسكري².

وليس من المستغرب أن تصعد القوى الاقتصادية والسياسية القوية المعارضة لحركات المقاومة غير العنيفة تلك ردها، معتمدةً على الأدوات الحكومية والأدوات التي تقودها الشركات الكبرى لقمع هؤلاء المتمردين المناصرين لنظام وطني وعالمي مختلف.

لذلك تبلور نمط متسع من قمع الحركات الاجتماعية في جميع أنحاء العالم، من الديمقراطيات المفترضة في أوروبا وأمريكا الشمالية وما ورائهما، إلى العديد من البلدان المعروفة منذ فترة طويلة بقمع أصوات المعارضة. في كل مكان، تتقلص مساحة المعارضة سريعًا. نرى الحكومات والشركات على حدٍ سواء تعمل على قمع وإسكات الحركات والمنظمات والأفراد الذين ينظمون أنفسهم ضد القمع المتصاعد.

وكما يصف الاتحاد الدولي لحقوق الإنسان، فإن "في العديد من البلدان، تفرض السلطات قيودًا كبيرة على المساحة الحرة للمجتمع المدني من خلال عدم التردد في تجاوز القانون بدعم من القضاء أو باعتماد قوانين تهدد الحرية بشكلٍ متزايد، وتركز بشكلٍ خاص على وصول المنظمات غير الحكومية إلى التمويل، وشروط التسجيل ومراقبة أنشطة

¹ Bina Ahmad, Ben White, and others, Shrinking Space and The BDS Movement, Transnational Institute and the Institute for Policy Studies, 13 November 2018, available at: <https://cutt.us/GaTTi>

² Why Israel Fears the Boycott, The New York Times, 31 January, 2014, available at: <https://cutt.us/oz4sF>

المنظمات أو حرية التجمع. ويمكن تصدير هذه الترسانة القانونية من بلدٍ إلى آخر من أجل خنق جميع أشكال تعزيز حقوق الإنسان والدفاع عنها. وتتضمن أعدادًا متزايدة من القوانين ومشاريع القوانين، التي تهدف إلى تنظيم أنشطة المنظمات غير الحكومية، فضلًا عن التدابير لتقييد الحصول على التمويل، لا سيما عند الحصول عليه من الخارج. وفي الوقت نفسه، تُستخدم مسألة التمويل كأداة لتشويه سمعة المنظمات غير الحكومية بين السكان والمانحين³. ومع ذلك، فإن الخبر السار هو أن بعض هذه الأدوات تفشل أحيانًا، وبعض الجهود التي تبذلها الحكومات والشركات بهدف نزع الشرعية عن المجتمع المدني -والتي تهدف إلى تقويض حركات حقوق الإنسان، والحملات ضد العنصرية المتزايدة، والحرب وغير ذلك- تفشل كذلك في بعض الأحيان، على الرغم من كل الأموال المستثمرة، والقوانين واللوائح التي تُضيق المساحة على هذه الحركات، فهي في بعض الأحيان تقاوم -والمساحة لا تتقلص حقًا بقدر ما يأملون. وفي هذا السياق، فإن المقاطعة كأحد أشكال المقاومة المدنية -كما سنرى- ليست أسلوبًا جديدًا تم استخدامه في النضال الفلسطيني. فقد أُستُخدمت على نطاقٍ واسع في الانتفاضة ضد الحكم الاستعماري البريطاني للهند في الثلاثينيات، ثم في جنوب أفريقيا ضد الأبارتهايد، وانتشرت كذلك بشكلٍ شعبي في جميع أنحاء المجتمع الفلسطيني خلال الانتفاضة الأولى. ومع ذلك، فإن ظهور حركة المقاطعة وسحب الاستثمارات وفرض العقوبات (BDS) في شكلها الحالي هي نتيجة مجموعة من العمليات من عام 2000 فصاعدًا من خلال الاستفادة من كل هذه التجارب⁴. وكما يتضح من الموقع الإلكتروني لحركة المقاطعة BDS فإنها تُشكل تحديًا لدولة إسرائيل بسبب انتهاكات حقوق الإنسان التي عندما ترتكبها الحكومات الأخرى تؤدي إلى انتقادات دولية وعقوبات⁵. "منذ ما يقرب من سبعين عامًا، حرمت إسرائيل الفلسطينيين من حقوقهم الأساسية ورفضت الامتثال للقانون الدولي"، ويتابع التقرير أن "نظام الاستعمار الاستيطاني، والفصل العنصري، واحتلال الشعب الفلسطيني ... ممكن فقط بسبب الدعم الدولي". وفي إطار كون الحكومات تفشل في محاسبة إسرائيل، بينما الشركات والمؤسسات في جميع أنحاء العالم تساعد إسرائيل على قمع الفلسطينيين، ولأن من هم في السلطة يرفضون التحرك لوقف هذا الظلم، فقد دعا المجتمع المدني الفلسطيني إلى استجابة المواطنين العالميين للتضامن مع النضال الفلسطيني من أجل الحرية والعدالة والمساواة. وبالإشارة صراحةً إلى حركة جنوب أفريقيا المناهضة للفصل العنصري كمصدر للإلهام، فإن حركة المقاطعة BDS توضح أنها غير موجودة في فراغ تاريخي أو سياسي، بدلا من ذلك، فهي تحمل بوعي ذاتي الشعلة من النضالات السياسية التاريخية الأخرى المشابهة من أجل تقرير المصير للسكان الأصليين وضد الاستعمار، والتي تشمل أيضًا حركات مثل حركة الهنود الأمريكيين، والحقوق المدنية وحركات القوة السوداء في الولايات المتحدة، وغير ذلك. تحت حملة المقاطعة BDS على "الضغط غير العنيف على إسرائيل" حتى "تفي بالتزامها بالاعتراف بحق الشعب الفلسطيني غير القابل للتصرف في تقرير المصير، وتتوافق تمامًا مع مبادئ القانون الدولي".

³ Shrinking Space for Civil Society, FISH, available at: <https://cutt.us/TLdCx>

⁴ Morrison, S. The Emergence of the Boycott, Divestment, and Sanctions Movement. In: Gerges, F.A. (eds), Contentious Politics in the Middle East. Middle East Today. (Palgrave Macmillan, New York, 2015, <https://cutt.us/rqcrz>)

⁵ Shrinking Space for Civil Society, FIDH, <https://cutt.us/xl6Av>.

وهناك ثلاثة مطالب محددة تحملها هذه الحركة: أولاً، "إنهاء احتلال إسرائيل واستعمارها لكافة الأراضي العربية وتفكيك الجدار"، ثانياً، "إنهاء كافة أشكال الفصل العنصري ضد الفلسطينيين واعترافها بالحق الأساسي بالمساواة الكاملة لفلسطيني أراضي العام 48"، وثالثاً، "احترام وحماية وتعزيز حقوق اللاجئين الفلسطينيين في العودة إلى ديارهم وممتلكاتهم على النحو المنصوص عليه في قرار الأمم المتحدة رقم 194"⁶. هذه المطالب الثلاثة، بشكلٍ حاسم، قائمة بذاتها. الحركة لا تختار بين الأطر السياسية أو يشترطون عليها على سبيل المثال، قيام دولتين أو دولة ديمقراطية واحدة، بل يؤكدون على عدم قابليتهم للتصرف ومركزية القرار للفلسطينيين في أي تسوية نهائية.

وفي السنوات الأخيرة، نمت حملة BDS بشكلٍ كبير، عبر القارات وفي مختلف القطاعات. ومن خلال أدبيات أطراف أساسية في حركة المقاطعة، نجد أن ثمة وعياً بأن المقاطعة أداة لا تكتمل إلا باستعادة الحراك السياسي الفلسطيني لفاعليته. ويتم ذلك عبر الأطر التنظيمية الجامعة التي تتخطى الانقسام وأجواء الحرب الأهلية، وبرامج متفق عليها من جانب أطراف متعددة لتحصيل الحقوق الفلسطينية، الأمر الذي يمكنه أيضاً أن يعطي زخماً منظماً لحملة المقاطعة في فلسطين وخارجها، وهو ما دفع الباحثة كذلك لدراسة المقاومة المدنية العالمية لإسرائيل في إطار مفهوم أكبر وهو "المقاومة الحضارية" التي تتعد أشكالها وأدواتها حسب تعدد أشكال العدوان وأساليبه⁷.

وهذا ما توفر في الفترة الأخيرة منذ يناير 2020 في نموذج صعود متجدد للمقاومة الفلسطينية الحضارية (الشعبية، والعسكرية) ضد الاحتلال الصهيوني حين أقرت إدارة "ترامب" ما عُرف بصفقة القرن، وما تلا ذلك من هرولة تطبيع بعض النظم العربية (الإمارات، البحرين، السودان، المغرب) مع الكيان الصهيوني، في حين تعالي التساؤل من جانب المحبطين: هل انتهت القضية الفلسطينية على هذا النحو؟ وهل انتهت حركات المقاومة المسلحة؟ وما آليات مقاومة الشعوب التي يمكن ممارستها في هذا النطاق دفاعاً عن حقوق الإنسان وكرامته؟

المشكلة البحثية:

في عام 2005، أطلقت مجموعة من الناشطين الفلسطينيين حركة المقاطعة، وسحب الاستثمارات، وفرض العقوبات حملة عالمية تهدف إلى الضغط على إسرائيل لإنهاء انتهاكات حقوق الإنسان. وقد حظي النداء، عند إطلاقه، بدعم حوالي 170 نقابة مختلفة، ومجموعات سياسية، ومنظمات نسائية، ولجان شعبية، وغيرها من هيئات المجتمع المدني الفلسطينية. وفي غضون 48 ساعة من إعلان النداء، أيدته شبكة التنسيق الدولية المعنية بفلسطين، وهي مجموعة تضم عدة مئات من منظمات التضامن الفلسطينية المعترف بها من الأمم المتحدة في جميع أنحاء العالم التي تجتمع لجنيتها التوجيهية في باريس.

وكما يتضح من موقع الحركة على شبكة الإنترنت، تلك الحركة التي تُصنف نفسها أنها حركة للدفاع عن حقوق الإنسان، فإن الحركة تُشكل تحدياً مختلفاً لدولة إسرائيل بسبب انتهاكات حقوق الإنسان التي -كما أشير: "عندما ترتكبها حكومات أخرى، فإنها تؤدي إلى توجيه اللوم والجزاءات على الصعيد الدولي"... "وقد حرمت إسرائيل الفلسطينيين من حقوقهم

⁶ موقع حركة المقاطعة BDS، <https://cutt.us/f3tNj>

⁷ 'What is BDS?', BDS Movement website, <https://cutt.us/U4yMD>

الأساسية ورفضت الامتثال للقانون الدولي". ولا يزال "نظام الاستعمار الاستيطاني، والفصل العنصري، والاحتلال الإسرائيلي على الشعب الفلسطيني ممكنًا بسبب الدعم الدولي".

وانطلاقًا من كون الحكومات لا تحاسب إسرائيل، والأنظمة العربية تسارع في الانضمام لقطار التطبيع بل والمحاولات مستمرة لفرضه شعبيًا، وبينما تساعد كبرى الشركات والمؤسسات في جميع أنحاء العالم إسرائيل على قمع الفلسطينيين، ولأن القائمين على السلطة يرفضون العمل لوقف هذا الظلم، كانت هناك حاجة ماسة لتطوير آليات الاستجابة لهذه التحديات وكون الحركة الصهيونية حركة توسعية بأدواتٍ حديثةٍ تكنولوجية وثقافية لم تكن موجودة سابقًا، فكان من المهم أن يطور المجتمع المدني الفلسطيني والعالمي استراتيجيات لمواجهة هذا الظلم وذلك الفرض للسردية الإسرائيلية على شعوب العالم، وكان من ضمن دعوات المقاومة التي نحن بصدد دراستها هي دعوة المجتمع المدني الفلسطيني إلى استجابة المواطنين العالميين للتضامن مع النضال الفلسطيني من أجل الحرية والعدالة والمساواة من خلال حركة مجتمع مدني عالمي تستقي إطارها المرجعي من حركات ناجحة سابقة وتضرب جذور مطالبها لتقويض الكيان في القانون الدولي واتفاقيات حقوق الانسان.

وبالتالي، فيكون سؤالنا الأساسي: ما فعالية حركة مقاطعة إسرائيل BDS في إطار السياق الفلسطيني والإقليمي والدولي المحيط؟

الأسئلة الفرعية:

- ما أنماط المقاومة المدنية الحضارية؟ ومبرراتها؟ وما علاقتها بالمقاومة العسكرية؟
- ما السياق الذي أدى إلى -وسمح- بنشوء حركة مقاطعة إسرائيل بدايةً؟ وإلى أي مدى يُعد السياق الداخلي والإقليمي والعالمي الحالي مواتيًا لازدهار عملها وتحقيق أهدافها؟
- ما الذي يميز حركة المقاطعة الفلسطينية عن حركات المقاطعة العربية الأخرى؟
- ما الفارق بين حركات المقاومة المدنية الداخلية والحركات العالمية؟
- ما آلياتها، وأدواتها، ومجالات عملها؟
- لماذا هذا النمط من المقاومة الآن ضد إسرائيل بعد توالي الحروب المفتوحة والمقاومة المسلحة؟ وهل هي بديل للمقاومة المسلحة؟
- ما الضغوط القانونية والسياسية التي مورست ضد حركة المقاطعة، وما رد الفعل الصهيوني على نشاطات الحركة؟

- ما رد فعل الحكومات والأنظمة العربية على نشاطات الحركة؟
- ما السياق الدولي الملائم لعمل الحركة وازدهارها؟
- ما مدى نجاح آليات المقاومة المدنية في تقويض سلطة الاحتلال أو نزع شرعيته؟
- وهل يمكن أن يتم نزع شرعية الاحتلال من خلال المقاومة المدنية فقط؟
- ما المعوقات التي تحول دون نجاح حركة المقاطعة؟ وما العوامل المساعدة لنجاحها؟

أهمية الدراسة:

* الأهمية النظرية:

- تكمن الأهمية في استخدام إطار نظري تحليلي شامل وهو مفهوم المقاومة الحضارية، الذي يولي أهمية لأنماط المقاومة المختلفة ويوضح تعاضدها تبعًا لطبيعة الأزمة المركبة.
- كذلك الحديث عن حركات المقاومة المدنية، وما تمثله من جديد في دراسة العلاقات الدولية وإصلاح وتدعيم الحوكمة العالمية.
- الدراسة كذلك توضح العلاقة بين نمط الصراع ونمط التعاون في العلاقات الدولية.

* الأهمية العملية:

- تتبع تلك الأهمية من كون الحركة محل الدراسة حركة عالمية صنفها إسرائيل كتهديد أول لأمنها ووجودها، فهي موجهة لشعوب ومؤسسات وشركات، عند فقدان إسرائيل لدعمها سيُشكل ذلك تهديدًا لوجودها.
- الأهمية الثانية: تكمن في استراتيجيات المقاومة الحضارية التي تنتهجها الحركة، فنسلط الضوء على أدوات حديثة للمقاطعة وآلية عملها. ومن ثم فتح الباب لابتكار أساليب مقاومة حضارية جديدة تكون مستجيبة للتحديات الراهنة ومستفيدة من السياق المحلي والدولي.

الأدبيات السابقة:

نتناول أولاً في الأدبيات دراسات تطرقت إلى أنماط مختلفة من المقاومة الحضارية، ونركز على الدراسات التي قارنت بين المقاومة المدنية والعسكرية وعوامل نجاح كل منها، هذا انطلاقاً من الإطار العام لبحثنا وهو مفهوم المقاومة الحضارية الذي يجمع كافة أشكال وأساليب ومستويات المقاومة، فنرى كيف قام أحد الباحثين بتطبيق المفهوم ودراسة مستويات المقاومة المختلفة على مستوى المؤسسات والأفراد والجماعات في تحليله لإحدى حالات المقاومة، بعد ذلك نرى نماذج لحركات المقاومة المدنية التي نقارن بينها وبين حركة المقاطعة، كما نشير إلى دراسات تناولت بالتحليل جوانب مختلفة من حركة المقاطعة لوضع هذه الدراسة في مكانها الصحيح وتوضيح أوجه تمايزها.

أولاً: أدبيات عن أنماط مقاومة حضارية ونماذج لها:

1- دراسة الهجمات الحضارية على الأمة وأنماط المقاومة: بين الذاكرة التاريخية والجديد منذ الثورات العربية. للأستاذة الدكتورة نادية مصطفى، وهي دراسة مطولة نُشرت في حولية أمتي في العالم، "المشروع الحضاري الإسلامي: الأزمة والمخرج"، الصادرة عن مركز الحضارة للدراسات السياسية لعام 2017.⁸

⁸ د. نادية مصطفى، الهجمات الحضارية على الأمة وأنماط المقاومة: بين الذاكرة التاريخية والجديد منذ الثورات العربية، في: نادية مصطفى (إشراف)، أمتي في العالم: المشروع الحضاري الإسلامي: الأزمة والمخرج، (القاهرة: مركز الحضارة للدراسات السياسية، 2017).

سعت الدراسة للإجابة على السؤال الذي يفرض نفسه بقوة على أصحاب "المشروع الحضاري الإسلامي"، باعتبارهم رافداً من روافد الثورة الشعبية السلمية، فكرياً وحركة، الذين يتصدون للاستبداد والظلم الذي يواجههم أكثر من غيرهم من روافد الثورة، وهو سؤال مزدوج عن جديد الهجمة والمقاومة؛ ما الجديد في هذه الهجمة منذ اندلاع الثورات وخاصة مع صعود الثورات المضادة؟ وما الجديد في أنماط المقاومة؟ وما درجة فعاليتها؟

وانطلاقاً من أن فهم "الواقع الراهن" للأمة لا يستقيم دون استدعاء الذاكرة الحضارة للأمة، فقد سعت الدراسة لإعادة قراءة تاريخ الأمة في مراحلها المتعاقبة، قراءة حضارية كلية شاملة، غير اختزالية جزئية، عسكرية، أو سياسية، داخلية أو خارجية، فالهجمات والتحديات والتهديدات كانت حضارية شاملة، وليست عسكرية فقط أو خارجية فقط، والاستجابات والمقاومات كانت أيضاً حضارية سواء الداخلية منها أو الخارجية، كما لم تقطع على مدار هذا التاريخ، وبأشكال وأنواع متعددة، وفقاً للسياقات الوطنية والإقليمية والعالمية المتغيرة.

ما يميز هذه الدراسة أنها متكاملة الجوانب نظرياً وموضوعياً، تحدد المفاهيم، تذكر الشواهد وتستخلص النتائج أو " الأنماط"، هي تنظر لكل ما بعدها من دراسات في هذا المجال، لتستعين بمفهوم "الهجمة" و"المقاومة" وأنماط المقاومة الحضارية، والذاكرة التاريخية التي هي مكون أساسي واستدعائها هو أحياناً نوع من المقاومة. تفتح المجال لسؤال ما الجديد في الهجمة الحضارية على الأمة وما الجديد في أنماط المقاومة الحضارية؟ وهو ما حاولت هذه الدراسة الإجابة عليه في سياق تحدي إسرائيل وسياساتها وجديد المقاومة في مقاومة الشعوب وأدواتها.

2- كتاب "المقاومة الحضارية: دراسة في عوامل البعث في قرون الانحدار"، الصادر في القاهرة يناير 2017م، وأتى الكتاب في 247 صفحة من القطع المتوسط، لمؤلفه الأستاذ/ هاني محمود⁹

وقد أجاد الكاتب في عرض موضوع "المقاومة الحضارية" والنمذجة له من خلال ثلاث دوائر متداخلة تستوعب كل منها التي تليها: فالدائرة الأولى- هي المقاومة الشعبية الجماهيرية، باعتبارها كبرى الدوائر وأوسعها. والدائرة الثانية- هي المؤسسات الوسيطة، ومثل لها ب "حركة الأزهر الشريف" حيث كان يمثل صوت الأمة ومعقد آمالها في الدفاع عن الحقوق. ثم تتولد دائرة ثالثة من الدائرتين السابقتين وهي دائرة "الكلمة"، التي غالباً ما تكون نابعة من موقف فردي لعالم -أو علم- ذي مسلك نضالي معروف، ويتحرك غالباً في نطاق فاعلية الجماعة الوسيطة، ومثل لها "بدور الفتوى في المقاومة الحضارية". وبهذا الترتيب نكون أمام تحليل منطقي متدرج للظاهرة محل الدراسة.

من أهم ما جاء في الكتاب أن الباحث استطاع أن يحرر مفهوم "المقاومة"، ويحدّد معالم "الحضارية" بشكلٍ دقيق، مما جعله يمضي في كتابه بعد ذلك على هدي من هذا التحديد، ويعرض أمثلة ومستويات مختلفة من مقاومة الجماهير والأزهر والفتوى للاحتلال الفرنسي، وهو ما استفدنا منه في تفعيل مفهوم المقاومة الحضارية ولكن في سياق آخر -كما سنرى.

⁹ هاني محمود، المقاومة الحضارية، دراسة في عوامل البعث في قرون الانحدار، (القاهرة: دار البشير، مركز الحضارة للدراسات السياسية، 2017).

3- لماذا تتجح المقاومة المدنية؟ ترجمة عادل رفيق¹⁰، وهي جزء من دراسة موسعة، بعنوان: المنطق الاستراتيجي للكفاح السلمي، إعداد: ماريا ج. ستيفان وإريكا تشينويث، قام المعهد المصري للدراسات بترجمتها في ملفات.

الدراسة هي تقييم ثلاث دراسات حالة لأنشطة المقاومة اللاعنفية والعنيفة في جنوب شرق آسيا. من النتائج المحورية لهذه الدراسة هو التأكيد على أن أساليب المقاومة اللاعنفية تمتلك فرصًا أكبر للنجاح في تحقيق الأهداف الاستراتيجية من المقاومة العنيفة، وتفترض أنه من المرجح أن تتجح حملات المقاومة التي تفرض حدوث تحولات في الولاء في صفوف قوات الأمن والمؤسسات المدنية.

جدير بالذكر أن الدراسة لا تولي اهتمامًا للتفرقة بين مقاومة الحركات للأنظمة ومقاومة الاحتلال الأجنبي وفي دراسات الحالة تجمع بين النمطين، بينما شروط النجاح هذه ربما لا تتوفر تمامًا في مقاومة الاحتلال فلم نر على مر التاريخ تغير جذري في ولاء جيش محتل في حين الانقسامات تحدث في الحروب الأهلية والمقاومة لنظام مستبد ظالم أو عسكري.

ثانيا: أدبيات عن نماذج لحركات مقاومة مدنية:

1- معاينة الفصل العنصري: مقارنة الحملات الجنوب أفريقية والفلسطينية للمقاطعة وسحب الاستثمار والعقوبات: من الثورة الأمريكية إلى حملة مقاطعة إسرائيل¹¹.

تُقرن الدراسة (وهي فصل من كتاب محرر) بشكل نقدي حملات المقاطعة، وحجب الاستثمار، والعقوبات ضد إسرائيل وتلك التي كانت في جنوب أفريقيا. ويجادل الباحثون أنه وعلى الرغم من أن القياس في جنوب أفريقيا كثيرًا ما يُحتج به لتبرير استراتيجيات BDS ضد إسرائيل، فإن الاقتصاد السياسي وديناميكيات الصراع الاجتماعي تختلف اختلافًا جذريًا في كلتا الحالتين، مما يجعل من غير المرجح أن يتكرر "النجاح" ببساطة. ففي جنوب أفريقيا استخدمت استراتيجية المقاطعة لتكملة كفاح التحرير النشط؛ وفي فلسطين، يُتوقع منها، بصورة غير واقعية، أن تنشئ نموذجًا جديدًا. وعلاوة على ذلك، فإن وجود كفاح جماعي هو وحده الذي أتاح لهيئة تنمية الأعمال التجارية أن تكون مؤثرة في جنوب أفريقيا. وأخيرًا، تفتقر حملة BDS إلى وضوح المعارضة في جنوب أفريقيا بشأن الأهداف والآلية التي ينبغي أن تعمل بها هذه الحملة على النهوض بهذه الأهداف. ومن ثم، يتعين على مؤيدي BDS أن يحذروا من التشبيه التبسيطي وأن يُفكروا على نحو أكثر استراتيجية.

وجدير بالذكر أن هذا الإشكال الذي يطرحه الباحثون إذ يؤكدون أنه في حالة جنوب أفريقيا كان هناك مطالبات ومقاومة مدنية على أرض الواقع أما في حالة فلسطين فلا توجد مقاومة مدنية شعبية، إنما هو إشكال يمكن أن يتم نقده

¹⁰ ماريا ج. ستيفان وإريكا تشينويث، لماذا تتجح المقاومة المدنية، ترجمة: عادل رفيق، المعهد المصري للدراسات، أكتوبر 2017، <https://cutt.us/gk1Qk>

¹¹ Lee Jones, Sanctioning Apartheid: Comparing the South African and Palestinian Campaigns for Boycotts, Disinvestment, and Sanctions: From the American Revolution to the Campaign to Boycott Israel, (In): Feldman, D. (eds) Boycotts Past and Present. (Palgrave Critical Studies of Antisemitism and Racism. Palgrave Macmillan, Cham., January 2019,

<https://cutt.us/0P3ur>) pp.197-217

من جانب آخر، كون المقاومة الشعبية في أرض فلسطين قائمة ولم تتوقف أشكال النضال المختلفة، وربما هذا التصور الملتبس بسبب تقصير الباحثين في الدراسة الميدانية للحالة الفلسطينية بينما يمكننا الاستفادة من هذا العمل البحثي في دراسة آليات نجاح حركة جنوب أفريقيا وما تقتضيه المقاومة المدنية لإسرائيل وآليات ردم هذا الصدد.

2- لحظة جنوب أفريقيا¹²:

المقال يوضح أوجهًا من التشابه بين حركة من أجل العدالة في فلسطين وتجربة جنوب أفريقيا للنضال ضد الفصل العنصري، وينخرط الكاتب بشكلٍ نقدي مع مؤيدي وناشطي حملة المقاطعة وسحب الاستثمارات وفرض العقوبات (BDS) ضد إسرائيل. وعلى الرغم من اختلاف سياقاتهما، يجادل صاحب المقال بأن قرار توسيع نطاق النضال ليشمل جميع معارضي الفصل العنصري، متجاوزًا بذلك العنصرية التي يطبعها هيكل الدولة ذاته، مكن الحركة من اكتساب الزخم اللازم لإسقاط نظام الفصل العنصري. حيث لم تكن المقاومة المسلحة ولا المقاطعة وحدها كافية لكسب المعركة دون العنصر الإضافي للعمل المباشر الجماهيري. يتحدى المقال نشطاء الحركة الفلسطينية المعاصرة لإعادة تعريف استراتيجيتهم وخلق لحظتهم الجنوب أفريقية. علمًا أن النص يستند إلى ملاحظات المؤلف أثناء مناقشته في حديث ألقاه عمر البرغوثي، أحد مؤسسي حركة المقاطعة، في جامعة كولومبيا في 2 ديسمبر 2014.

وقد ركزت الدراسة على عوامل مساعدة لنجاح الحركة كعالمية الحركة وتوسيع النضال العالمي.

ثالثًا: أدبيات عن الحركة محل الدراسة:

رغم الحضور الإعلامي الذي تحققه حركة المقاطعة BDS من خلال وسائل الإعلام والتواصل المختلفة، إلا أن الأبحاث والدراسات المتخصصة في فحص تأثير الحركة وتجربتها لا تزال محدودة، ومع ذلك تم تحديد مجموعة من الكتب والدراسات التي تستند إليها الدراسة.

1- كتاب بعنوان: المقاطعة وسحب الاستثمارات والعقوبات: النضال العالمي من أجل حقوق الفلسطينيين¹³

وهو من أبرز الكتب في هذا الإطار (صادر باللغة الإنجليزية، ومؤلفه أحد مؤسسي حركة المقاطعة الناشط عمر البرغوثي، صدر عن كتب هايماركت في العام 2011 ويقع الكتاب في 300 صفحة يتناول من خلالها أسباب ودوافع، ومبررات إطلاق حملة المقاطعة. ويُقدم الكتاب مجموعة من التحليلات والمقارنات الداعمة لاستراتيجية هذه الحملة والحملة الدولية الداعمة لحقوق الشعب الفلسطيني، ويركز الكاتب بشكلٍ كبير على المقارنة بين التجربة الفلسطينية وتجربة جنوب أفريقيا من منحنى الفصل العنصري والسياسات المتبعة من قبل حكومة الأبارتهايد في جنوب أفريقيا مقارنةً بالسياسات الإسرائيلية، كنتيجة لما تمارسه إسرائيل كقوة احتلال تنتهك حقوق الإنسان. ويقدم الكتاب استنتاج لدوافع وأسباب بروز حركة BDS، وأن ظهور الحركة جاء كرد فعل طبيعي على ما تمارسه إسرائيل من اضطهاد وفصل عنصري.

¹² Mahmood Mamdani, The South African Moment, Journal of Palestine Studies, Volume 45, Issue1 2015, pp63-68, <https://cutt.us/Z7yzt>.

¹³ Omar Barghouti, Boycott, divestment, sanctions: The global struggle for Palestinian rights, (Chicago, IL: Haymarket Books.2011).

يرى البرغوثي في كتابه، أن حملة المقاطعة الفلسطينية لديها مقومات النجاح في إنهاء الاحتلال، والاستيطان ونظام الفصل العنصري، مرتكزا في ذلك على عدة نقاط منها: استناد الحملة على المقاربة الحقوقية وحملها لرسالة أخلاقية تدعو للحرية والمساواة وحقوق الإنسان العالمية ومبادئ غير عنصرية، وامتنالها للقانون الدولي، ما يعطي الدول مبررًا لدعمها والتضامن مع القضية الفلسطينية، ويعتقد الكاتب في أن اتباع حركة BDS المسلك السلمي، يُمكن أصحاب الضمان من دعمها والمساهمة فيها.

يفتح هذا الكتاب الآفاق أمام الدراسة للإجابة عن عدة أسئلة: كيف تستجيب الحركة كأداة مقاومة شعبية لا عنيفة إلى ممارسات إسرائيل؟ وما مدى قدرتها على ترجمة الأهداف التي تتادي بها على أرض الواقع؛ فلسطينياً أو عربياً أو دولياً؟ إلا أن الكتاب لا يتعرض الى الدور الشعبي الفلسطيني في حركة المقاطعة، ولا يقدم أي إجابات أو مقترحات للدور الشعبي في فلسطين والدول العربية.

2- تقلص المساحة وحركة المقاطعة¹⁴:

تبحث هذه الورقة في الضغوط القانونية والسياسية التي مورست على حركة المقاطعة وسحب الاستثمارات وفرض العقوبات (BDS). وتجادل الورقة بأن الهجوم القانوني والسياسي والدعائية ضد حركة BDS في الغرب إنما هو رد فعل على نجاحاتها كجزء من حركة التضامن العالمية المتنامية، والجدل المتزايد ضد الصهيونية بين الأطراف اليمينية واليسارية.

من أبرز نتائج الدراسة القول إن الحركة بمثابة تكتيك تضامن عالمي وليست بديلا للحركة الوطنية الفلسطينية، وأن مساحات المعركة ضد نشاط الحركة تتنوع فهناك قمع داخلي إسرائيلي ويتوسع القمع ليكون في الجامعات الأمريكية فضلا عن قوانين أوروبية ضد نشاط الحركة والمقاطعة ونشاطها.

نستفيد من الدراسة من ناحية إثارة التساؤل حول تعدد مستويات الفعل الحضاري؛ فمن خلال دراسة تعدد ساحات المعركة على مستوى الأفراد والمؤسسات والدول، يتضح لنا أن الدراسة يمكن قراءتها بطريقة عكسية لتوضح لنا دور الحركة كفاعل إيجابي في هذه المستويات.

3- ظهور حركة المقاطعة وسحب الاستثمارات وفرض العقوبات¹⁵:

باستخدام الأدوات التحليلية لنظرية الحركة الاجتماعية للقيود والفرص السياسية، وديناميكيات التعبئة، وأطر العمل الجماعي، جادلت الدراسة (وهي كذلك فصل من كتاب محرر) بأن عددًا من العوامل أدت إلى ظهور حركة المقاطعة العالمية. بعيدًا عن كونها ظروفًا تاريخية موضوعية، تم تفسير هذه العوامل على أنها لحظات للعمل من قبل أولئك الذين يسعون إلى بناء حركة. خلال هذا الوقت، تطورت المقاطعة كخبرة تكتيكية للتنظيم، وبدأت حركة المقاطعة عبر الحدود لتحقيق العدالة للفلسطينيين.

يجيب الفصل عن سؤال كيف ولماذا جاءت الحركة إلى حيز الوجود؟

¹⁴ Bina Ahmad, Ben White, and others, Shrinking Space and The BDS Movement, Op. cit.

¹⁵ Morrison S. The Emergence of the Boycott, Divestment, and Sanctions Movement. Op.cit.

ويوضح أنه يمكن للفرض/ القيود السياسية وديناميكيات التعبئة أن تغسر متى ولماذا تظهر حركات اجتماعية معينة في أوقات معينة؛ ومع ذلك، فإن هذه المفاهيم النظرية تولي القليل من الاهتمام لأدوار الثقافة والأيدولوجيا في تشكيل العلاقة السببية وتعبئة المشاركين. منذ منتصف الثمانينيات فصاعدًا، بدأ منظرو الحركة الاجتماعية في النظر في هذه الأسباب، لا سيما الجوانب الثقافية التي قد تُشكل الأجندة والمطالب. قال هؤلاء العلماء إن النظريات السابقة للحركات الاجتماعية تغاضت عن دور المعاني والأفكار في الحشد، وفشلت في الاعتراف بمدى انخراط الحركات الاجتماعية في إنتاج المعاني والصراع عليها.

الإطار النظري: مفهوم المقاومة الحضارية وأنماطها:

يقول المستشار البشري -عليه رحمة الله- أن الوسيلة الأساسية لمقاومة الاحتلال العسكري من دولة كبرى هي المقاومة الشعبية، والمقاومة الشعبية لا تعتمد على القوة الخاصة بالجيش ونظمها والأسلحة التي لديها وقوتها النظامية والاقتصادية. يُدافع المحتل عن مصلحة والمقاومة تدافع عن وجود وعن حرية، المصلحة أقصر نفسًا من الوجود وأقل ضرورةً منه، وهذا يجعل المقاوم أطول نفسًا فهو لن يتوقف لأنه يدافع عن وجوده، والذي يدافع عن مصلحته إذا جعلته يشعر أنه لا يحققها وإذا جعلته يشعر أنها تؤدي به إلى الخسارة وليس إلى النفع انتهت آماله¹⁶.

وكذلك ينبغي عمل أي حركة للتححر الوطني على جعل الاستعمار مكلفًا للمستعمر، وكذلك بُنيت حركة المقاطعة على فكرة جعل تكاليف الاحتلال أكبر من مكاسبه. تتبع أهمية حركة المقاطعة من أنها الشكل الأكثر فاعلية للتضامن الشعبي مع القضية الفلسطينية؛ إذ إنها تحاول أن تكرر تجربة جنوب أفريقيا من زاوية أن النضال الشعبي على الأرض يحتاج إلى رافعة دولية تسنده. وتعمل، بالتالي، على إضعاف تأثير الدعم الدولي الذي تتلقاه «إسرائيل» من الولايات المتحدة وغيرها، إضافةً إلى أن حركة المقاطعة تجند طاقات الشباب الفلسطيني في الشتات.

وأظهر بحث إحصائي أُجري بين عامي 1914 و2000 أن المقاطعة سلاح مؤثر، يمكن استخدامه وسيلة ضغط، بهدف إجبار جهةٍ ما على تغيير سياستها؛ إذ تبين أن من بين 174 حالة مقاطعة نجحت 34 في المئة منها في تغيير سياسات الدول، وأن 55 في المئة نجحت نجاحًا جزئيًا (كالإفراج عن معتقلين سياسيين)، بينما في 30 في المئة أدت إلى تغيير النظام السياسي¹⁷. يُستنتج من ذلك أن سلاح المقاطعة -إذا ما أُدير بطريقة سليمة، وتوافرت له بيئة دولية مساندة- فسيؤدي، على الأرجح، إلى دفع «إسرائيل» إلى تغيير سياساتها العنصرية، وربما يفضي إلى تحقيق نجاحات جزئية، حتى إن لم يؤدي إلى تغيير طبيعة النظام الإسرائيلي العنصري، وهذا يأخذنا إلى ضرورة الحديث عن افتراضنا الآخر في هذه الدراسة وهو أن المقاطعة وحدها غير كافية لتشكيل استراتيجية لإنهاء الاحتلال والأبرتهيد. وهي ليست

¹⁶ المستشار طارق البشري، أمّتي في العالم -مقدمات الحكيم البشري، (القاهرة: دار البشير، مركز الحضارة للدراسات السياسية، 2014)، ص109-110.

¹⁷ Gary Clyde Hufbauer .. et al. Economic Sanctions Reconsidered, (Washington, DC: Peterson Institute for International Economics, 3rd ed, 2007).

إلا نمطاً من أنماط المقاومة المدنية والشعبية ككل كما وصفها -المستشار البشري- ضد الاحتلال والصهيونية، فمن المهم إذا التعرف على مفهوم المقاومة الحضارية الذي يعتبر الإطار العام لبحثنا.

مفهوم المقاومة الحضارية:

ولعل أول ما يتبادر إلى الذهن عند إطلاق لفظ "المقاومة": الحركات التي اتخذت من المسلك النضالي سبيلاً للاحتجاج على الظلم، لا سيما في حالة تعرض أوطانها للاحتلال. وتعد المقاومة الفلسطينية هي المعنى الأول من إطلاق "المقاومة" في لغة الإعلام العربي على الأقل. ولعل السبب في هذا حرص الداعين للقضية الفلسطينية على تمييز المسلك النضالي بمصطلح يطبع في نفس السامع دلالة إيجابية، وهذا الغرض يلبيه مصطلح "المقاومة" -كما سنرى¹⁸.

وكذلك عرّفت حركة مقاطعة إسرائيل وسحب الاستثمارات منها وفرض العقوبات عليها BDS نفسها على موقعها الرسمي بأنها: حركة فلسطينية المنشأ، عالمية الامتداد، تسعى لمقاومة الاحتلال والاستعمار-الاستيطاني والأبارتهايد الإسرائيلي، من أجل تحقيق الحرية والعدالة والمساواة في فلسطين، وصولاً إلى حق تقرير المصير لكل الشعب الفلسطيني في الوطن والشتات¹⁹. فبدايةً هي ترتكز على فعل المقاومة من أجل تحقيق غايات قيمة إنسانية حضارية للشعب الفلسطيني.

وهذا يأخذنا لتعريف أحد الباحثين الذي يرى أن وصف المقاومة ب(الحضارية) أو عدمها يحصل باعتبارين: الشكل الذي تكون عليه المقاومة، والوسيلة التي يتخذها المقاوم.

فإن وضعت الحركة المقاومة لنفسها حدوداً وضوابط أخلاقية تلتزم بها وتعد الإخلال بها انحرافاً عن المسار الصحيح للمقاومة؛ فإنها تكون حينئذ مقاومة حضارية؛ لأنها (مقاومة منتمية للحضارة)؛ إذ التزمت بمرجعيتها الأخلاقية والتشريعية. وإن لم تهتم الحركة المقاومة بمسألة الضوابط سالفه الذكر، وأطلقت لنفسها العنان في تجاوز كل الضوابط الأخلاقية والأعراف الإنسانية؛ فإنها حينئذ لا تكون حضارية، وتكون جديرة باسم آخر غير اسم "المقاومة"²⁰.

وعند التأصيل للمفهوم نجد أن مفهوم المقاومة الحضارية يرتكز على استقراء الذاكرة التاريخية للأمة للتعرف على الهجمات المختلفة وأنماط الاستجابات، وهذا الاستدعاء للذاكرة التاريخية هو أحياناً بحد ذاته نوعاً من المقاومة وشحذاً للوعي الجمعي للشعوب نحو المقاومة، وكان هذا واضحاً طوال تاريخ النضال الفلسطيني وأكد عليه الراحل د.عبد الوهاب المسيري في تحليله للنموذج الانتقاضي قائلاً إن "تماسك هوية الفلسطينيين وتجذره في تراثهم الحضاري والديني" كان هو العامل الحاسم لإدراكهم عناصر ضعف العدو- الهيكلية- وعناصر قوتهم والبدء بالعمل المقاوم الذي لم يتوقف²¹، هذا الإدراك والوعي بالأبعاد الحضارية والذاكرة التاريخية للمقاومة جزء أساسي من عمل حركات المقاومة باختلاف أشكالها وتأثير عملها من خلال التعريف بمن نحن ومن هم.

¹⁸ هاني محمود، المقاومة الحضارية .. دراسة في عوامل البعث في قرون الانحدار، مرجع سابق، ص 29.

¹⁹ ما هي حركة مقاطعة إسرائيل؟، مرجع سابق.

²⁰ هاني محمود، المقاومة الحضارية .. دراسة في عوامل البعث في قرون الانحدار، مرجع سابق، ص 31

²¹ د.عبد الوهاب المسيري، الإنسان والحضارة والنماذج المركبة: دراسات نظرية وتطبيقية، (القاهرة: دار دون، الطبعة الثالثة، يناير 2019)، ص 36.

وكما تؤكد د.نادية مصطفى فإن "إعادة قراءة تاريخ الأمة، في مراحلها المتعاقبة وفي تفاعله مع تواريخ الأمم الأخرى، يجب ألا تكون قراءة اختزالية جزئية، عسكرية أو سياسية، داخلية أو خارجية؛ ولكن يجب أن تكون قراءة حضارية كلية شاملة. وذلك نظرًا لأن الهجمات والتحديات والتهديدات كانت حضارية شاملة وليست عسكرية فقط أو خارجية فقط، والاستجابات والمقاومات كانت أيضًا حضارية سواء الداخلية منها أو الخارجية، كما لم تنقطع على مدار هذا التاريخ وبأشكال وأنماط متنوعة، وفقًا للسياقات الوطنية والإقليمية والعالمية المتغيرة."²²

وبناءً عليه، فيقدم فقه هذه الذاكرة دلالات مهمة لفهم الواقع الراهن سواء عن حالة الهجمات، أو عن حالة المقاومة الحضارية، ومن دلالات المفهوم أنه: (1) تتعدد منظومة حالات الفعل الحضاري: تدافعًا أم صراعًا أم تعاونًا بأدوات الحرب أو السلم. (2) منظومة وسائل وسبل الفعل الحضاري: الجهاد، التجديد، الإصلاح، التغيير، الثورة، الحوار.²³ ويرسم لنا المفهوم خريطة لأنماط المقاومة الحضارية، استجابةً لهذه التحديات التي كانت حضارية شاملة كما ذكرنا: وتصح الخريطة عن تقاطع عدة دوائر ومجالات داخلية وإقليمية وعالمية، ما بين استخدام القوة المسلحة أو المقاومة المدنية، كل منها كشف عن أنماط إيجابية أو سلبية من الاستجابات، ومن أهم نماذج هذه الأنماط:

1- المقاومة المسلحة:

عن طريق كتاب فصول المقاومة المختلفة، والتي دأبت على تأكيد أن الصمود في الميدان هو الذي يصنع القدرة على التفاوض، هذا بجانب تأكيد المقاومة العسكرية لاسترجاع الوطن.

2- المقاومة المدنية "السلمية":

تتعدد أنماط المقاومة المدنية وآلياتها: قد تكون مقاومة شعوب مثل انتفاضات الشعب الفلسطيني والتضامن العربي والعالمي معها، أو مقاومة حركات ومؤسسات عالمية أكاديمية وثقافية ورياضية، وغير ذلك. وتتداخل أشكال وآليات هذه المقاومة وتتشابك؛ لأن مقاومة المؤسسات هي بالأساس من عمل الشعوب وليست دائمًا بتوجهات رسمية. من هذه الآليات:

- آلية دبلوماسية وسياسية: فالمقاومة دائمًا في حاجة لدعم وتأييد من المجتمع الدولي، ولا يكون ذلك إلا بعلاقات دبلوماسية وزيارات، فلا يمكن أن تكون في كفاحها وحيدة منعزلة عن العالم.

- آلية التحرك الشعبي: كان واضحًا من خلال استقراء الذاكرة التاريخية للمقاومة أنه في أوقات الهجمات الكبرى التي تزلزل الأمة يتسع ميدان المقاومة ليشمل القاعدة الشعبية العريضة التي يتأسس عليها بنيان الأمة.

وكان للمقاومة الجماهيرية أهمية كبيرة لا سيما في الأوقات التي شهدت انهيار القيادة الرسمية بفعل اجتياح العدو؛ حيث تحملت الحركة الجماهيرية مسؤولية الحفاظ على كيان الأمة - بشقيها: المادي والمعنوي - وأعدت هيكل القيادة بما يتلاءم مع الظروف الحقيقية للمجتمع، وبما يرتقي لمستوى تطلعات الجماهير، وتمخض الحراك الشعبي عن إنجازات فشلت في تحقيقها القيادات الرسمية. ونرى دليل واضح على ذلك انتفاضة الأقصى ومن قبلها انتفاضة الحجارة،

²² د.نادية مصطفى، الهجمات الحضارية على الأمة وأنماط المقاومة: بين الذاكرة التاريخية والجديد منذ الثورات العربية، مرجع سابق، ص 25.

²³ المرجع السابق، ص 63-70.

ولا يختلف القريب عن البعيد كثيرًا في الحاجة إلى هذه المقاومة الشعبية بل هي مطلب الآن تطالب به فصائل المقاومة المسلحة في فلسطين أيضًا، واعترافًا بأهمية العمل الفردي والجماهيري الذي لا يحتاج لقيادة منظمة وله نتائج إيجابية تتضافر مع الآليات الأخرى وتحقق المطلب الأسمى، الحرية والعدالة للشعب الفلسطيني.

وأخيرًا.. فقد كانت خطابات وممارسات المقاومة دائمة الانتقال بين تلك المستويات من الشعب الفلسطيني إلى الأمة العربية والإسلامية إلى العالم الحر أو الإنسانية، وإن ذلك يُدلل على الوعي بمحيط الحركة والمقاومة بشكل عام، وأن كل عناصر هذا المحيط قد يكون ضمن مقومات دعم المقاومة (الحضارية) ضد العدو الصهيوني.

حركات المقاومة المدنية: فواعل جدد

اتفق منظرو الحركات الاجتماعية على تعريف الحركات الاجتماعية بأنها: "تحدي مستمر لمن يحتلون مواقع السلطة باسم مجموعة من المحكومين، بوسائل علنية وجماهيرية تستهدف استعراض ما لدي الجماعة من مقومات قوة، من حيث الموارد، والأعضاء، ومستوى التضامن والتماسك الداخلي، ودرجة الفعالية"، وأن العمل الجماعي كتحد للوضع القائم، يعكس رفضًا جماعيًا لمجمل النظام، أو جزئيًا لبعض سياساته، وينزع بطبيعته نحو التغيير.²⁴

والحاصل أن حركة مقاطعة إسرائيل استغادت كذلك من تجارب الأمم الأخرى، وطورت أدوات جديدة مناسبة للسياق العالمي ولطبيعة الهجمة التي يتعرض لها الحق الفلسطيني.

فنحن نتخطى هنا الأمة كوحدة تحليل لنصل إلى كل من يؤمنون بمبادئ العدالة والمساواة والحق الفلسطيني في العالم.

ومن المهم التفكير في الأسباب التي تجعل حركة المقاطعة من الفاعلين الجدد في العلاقات الدولية، وما يخبرنا لماذا اختيار هذا النمط من المقاومة دون غيره للدراسة:

ذلك لأنها تسمح بمساحة عمل واسعة من حيث الأدوات والآليات وكذلك محيط التأثير مستفيدة بالسياق العالمي، كما تؤثر على الفاعلين من الدول والفاعلين الرسميين مؤسسات كانت أو شركات كبرى عابرة للحدود.

فمن حيث العلاقة مع المحيط العالمي: تعاملت الحركة مع المحيط العالمي من خلال تصنيف الداعمين للمقاومة بالعالم الحر أو الحديث عن الإنسانية. لم تكن المقاومة غائبة أو مغيبة عن هذا المحيط بل كانت حريصة على إيصال رسائل للعالم الغربي، مثل رسالة إسماعيل هنية إلى الرئيس الأمريكي أوباما بمناسبة تنصيبه رئيسًا، أشار فيها إلى أهمية القضية الفلسطينية ومحوريتها كمدخل للعالم الإسلامي، وهناك مقالة له كتبها لجريدة الاندبندت لشرح الوضع من رؤية المقاومة.

إن نزوح المقاومة في التعامل مع المحيط العالمي أورها مزيدًا من القوة والتعاطف، وأكسب القضية طابعًا إنسانيًا عالميًا.

²⁴ محمود عبد الحفيظ المهر، الحركات الاجتماعية والفرصة السياسية، المجلة العربية للعلوم السياسية، عدد 27، صيف 2010، ص 162.

كذلك فالحركة بهذا هي جزء من المشاركة والحوكمة العالمية، وفي إطار الجدل النظري الواسع حول كيفية إصلاح الحوكمة العالمية: هل من خلال المؤسسات الدولية والفاعلين الدول، أم أن التطورات الاقتصادية والتكنولوجية أدت لتصاعد دور الحركات الاجتماعية واتساع أدوار الجهات الفاعلة غير الحكومية وصعود مجتمع مدني دولي؟ والحركة تولي اهتمامًا للمجتمع المدني الفلسطيني والعالمي، وتظهر أهمية دور المجتمع المدني العالمي في تحميل إسرائيل المسؤولية عن أعمالها، ومحاكمتها على الإرهاب المنهج الذي تمارسه ضد الشعب الفلسطيني، وإعمال المعايير الدولية لحقوق الإنسان ومناهضة الأبارتهايد، ويُقصد "بالمعايير" مجموع القواعد التي تحكم التعامل ضمن نظام معين، فالمعايير هي التي تحدد أسلوب التعامل ضمن النظام. وفي النصف الثاني من القرن العشرين، تبنى المجتمع المدني العالمي مجموعة من المعايير الحقوقية والإنسانية ومن ضمنها مناهضة التمييز والأبارتهايد، واستند إلى هذه المعايير في الضغط على الحكومات الغربية حتى تتحمل مسؤولياتها تجاه شعوب العالم المضطهدة، والانسجام مع مبادئها المعلنة في كافة التعاملات الاقتصادية والسياسية والمدنية، فمن خلال دعم المجتمع المدني العالمي تم الضغط على شركات اقتصادية أمريكية كبرى لقطع تعاملاتها مع نظام الأبارتهايد في دولة جنوب إفريقيا، وكان لتلك المقاطعة الاقتصادية أثر أساسي في إنهاء حقبة تاريخية طويلة من التمييز والفصل العنصري في دولة جنوب إفريقيا، وبدأ حقبة جديدة من إدراك حق الشعوب في تقرير مصيرها.

وفي اعتمادها على النضال العابر للقوميات تهدف حركة المقاطعة إلى تدويل النضال ونقل النزاع من حدوده المحلية إلى الحدود الدولية بالاستناد إلى القوانين والأعراف الدولية، وبمساندة شبكة من المنظمات الحقوقية وحركات التحرر الاجتماعي والمؤسسات الأكاديمية، وهو النموذج الذي استندت إليه حركات التحرر في الكثير من النزاعات حول العالم مثل حركات التحرر في جنوب أفريقيا والحركات الاجتماعية والمدنية في أوروبا وأمريكا، وهي بذلك تعطي نموذجًا جديدًا لاتساع دور الفاعلين غير الحكوميين واتساع تأثيرهم²⁵.

منهج الدراسة: هيكل الفرص السياسية كأداة لتحليل نشاط الحركة

في كتابها المحرّر لعام 2014 عن أساليب الحركة الاجتماعية، لاحظت "ديلا بورتا" أنه حتى ذلك الوقت تم تخصيص نصين آخرين فقط لموضوع أساليب البحث في الحركات الاجتماعية. في حين أن دراسة الحركات الاجتماعية قد نمت في العقود الماضية، إلا أن الاهتمام الأكاديمي بالمنهجية ذات الصلة لم يحدث. وتُشير إلى إن هذا يرجع جزئيًا إلى الطبيعة متعددة التخصصات لدراسات الحركة الاجتماعية²⁶.

²⁵ رانيا جهاد القاسم، إستراتيجية النضال العابر للقوميات في التحرر الوطني: الحركة الفلسطينية للمقاطعة، وسحب الاستثمارات، وفرض العقوبات نموذجًا، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، 2018، ص 23-27.

²⁶ Suzanne Morrison, The Boycott, Divestment, and Sanctions Movement: Activism Across Borders for Palestinian Justice, (London: London School of Economics for the degree of Doctor of Philosophy, October 2015), p41

وبناءً عليه، اعتمد العلماء مجموعةً من الأساليب من مختلف التخصصات لإجراء البحوث حول الحركات الاجتماعية. في حين أن قلة الاهتمام الأكاديمي بالطرق قد يسمح بمرونة كبيرة، فقد وجدت أن المجال المنهجي لدراسات الحركة الاجتماعية غير واضح. لذلك، أستعين بمجموعة مختلفة من الأدوات، أولاً: **بهيكل الفرص السياسية** التي تطرقت له أ.د. ناهد عز الدين- أستاذ العلوم السياسية بجامعة القاهرة- قبل أكثر من خمسة عشر عاماً²⁷ موضحة فيه نشأة مفهوم هيكل الفرص، وتطوره، وتعريفه، وأبرز المقولات المشتقة منه، وصلاحيته استخدامه كأداة لتحليل العمل الجماعي، وطبقت ذلك بالفعل في دراستها للدكتوراه لكن في السياق المحلي لمصر، توالت بعدها الدراسات التي ركزت على دور المفهوم في تحليل وتطور الحركات الاجتماعية نظرياً وتطبيقياً²⁸. وهذه إحدى الدراسات التي تسعى لتطبيقه، ولكن في سياق حركة عالمية عابرة للحدود. ويُتيح هيكل الفرص السياسية ذلك؛ فهو في إحدى مقولاته يوضح لنا فهم كيف تتباين أنماط السلوك الجماعي من سياقٍ محليٍّ لآخر ومن مدينةٍ لأخرى لأنها ترتبط بطبيعة "هيكل الفرص السائد على المستوى المحلي"²⁹، وبالتالي فهم تغير استراتيجيات الحركة العابرة للحدود من سياقٍ محليٍّ لآخر، ويوضح لنا كيف أن الحركة يمكن أن تُنشئ الفرصة لها ولغيرها من الحركات حيث يطرح مفهوم الفرص إمكانية تحول الجماعة إلى فاعلٍ إيجابي يمارس دور مؤثر في الواقع بهدف تغييره. وأقوم بالتركيز على تقسيم ثلاثي للفرص التي ندرس من خلالها الحركة وهو: **النشأة- النشاط- الفعالية**، نظراً لتعدد التقسيمات المختلفة لدراسة الفرص، ويأتي تفصيل أهم مقولاته وتطبيقه على الدراسة لاحقاً.

بالإضافة لمفهوم هيكل الفرص السياسية كأداة تحليل، فقد جمعت قدرًا هائلاً من المعلومات حول الحركة من خلال البحث الوثائقي والأدبيات الأكاديمية، التي تعود لأعضاء مؤسسين في الحركة وكتابات أخرى من خارج الحركة وخارج السياق الوطني الفلسطيني ككل والتي تمت مراجعة بعضها أعلاه، كذلك كتابات تناولت تاريخ النضال الفلسطيني، وأنماطه المختلفة، والحركات الاجتماعية، والنشاط عبر الوطني، كان ذلك ضرورياً في بحثي حول الحركة في سياق تاريخي أوسع للمقاومة الفلسطينية ونشاطها عبر الحدود. وقد شمل البحث تقارير من مجالات ودوريات محكمة، فلسطينية كبرى ك **مجلة الدراسات الفلسطينية** التي قدمت أعداداً خاصة لدراسة وتقييم الحركة، كذلك دوريات عربية مثل **قضايا ونظرات** التي تولي اهتماماً خاصاً لأنماط المقاومة المختلفة، كذلك مواقع إخبارية عالمية مثل **الجارديان** التي تناولت بالرصد والنقد والتحليل نشاطات الحركة المختلفة، بالإضافة إلى مئات المقالات المكتوبة في منشورات أصغر عن الحركة أو الحملات التأسيسية لها.

²⁷ ناهد عز الدين، مفهوم هيكل الفرص السياسية: صلاحية الاستخدام كأداة تحليلية في دراسة العمل الجماعي، جامعة القاهرة: مجلة النهضة، العدد 1، كانون ثاني/يناير 2005، ص 61-62.

²⁸ لمزيد من المعلومات حول دراسات ركزت على مفهوم هيكل الفرص السياسية انظر: عقل محمد أحمد، مفهوم هيكل الفرص السياسية وتطور الحركات الاجتماعية، مجلة كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، جامعة القاهرة، مجلد 16، العدد3، يوليو 2015، ص 129-145.

عقل صلاح، دراسة حركة حماس من منظور هيكل الفرص السياسية، مجلة جيل الدراسات السياسية والعلاقات الدولية، العدد18، يوليو 2018، ص 81.

²⁹ ناهد عز الدين، مفهوم هيكل الفرص، مرجع سابق.

كانت مواقع الحركة والمدونات ومواقع التواصل الاجتماعي الأخرى مصادر مهمة للمعلومات أيضًا. تمتلك جميع المجموعات والمنظمات المشاركة في الحركة (و ضد الحركة) مواقع ويب ويتم تمثيلها على نطاق واسع على Facebook و Twitter و YouTube تروج من خلالها الحركة لحملاتها المحلية المختلفة مثل BDS EGYPT التي تتبنى في هذا الوقت حملة لوقف المهرجانات الصهيونية في أرض سيناء، وكثيرًا ما يتم تداول الأخبار والتعليقات والمعلومات الأخرى مثل أنشطة المقاطعة القادمة من خلال هذه الشبكات.

بالإضافة إلى البحث الوثائقي والأكاديمي، استخدمت أيضًا طريقتين أخرتين -السياق التاريخي وتحليل المحتوى -للتحقيق في حركة المقاطعة. كان السياق التاريخي ضروريًا لوضع الحركة ضمن مسار تاريخي وسياسي أوسع للنضال الفلسطيني، وكان تحليل المحتوى مطلوبًا من أجل تفكيك المخرجات المكتوبة للحركة من أجل الإجابة عن أسئلة البحث المتعلقة بأسباب وديناميكيات ونتائج الحركة عبر الحدود.

السياقات التاريخية هي عدسة تحليلية لوضع شخص أو حدث أو ظواهر معينة في خلفية ومكان أكبر. وهذا يعطي منظورًا أوسع لتقييم وشرح أهمية موضوع الدراسة. فيما يتعلق بحركة BDS، كان البحث في الذاكرة التاريخية لمفهوم المقاومة مهمًا بشكل خاص لمقارنة حركة BDS بأشكالٍ أخرى من مقاومة إسرائيل مثل الاستخدام التاريخي للمقاطعة وارتباطها بالانتفاضات الشعبية وأشكال مختلفة من المقاومة المدنية في الداخل والخارج، والنشاط التضامني العابر الحدود، والمقاومة المسلحة، والحركة العربية القائمة على الدولة، ومقاطعة المنظمات العربية مثل جامعة الدول. كان السياق التاريخي مهمًا لتحديد ليس فقط كيف تتشابه الحركة أو تختلف عن التكتيكات والاستراتيجيات الأخرى، ولكن أيضًا لتحديد المكان المناسب للحركة في النضال الفلسطيني الأكبر من أجل العدالة. بطريقة ماثلة، كانت الطريقة مفيدة لتحليل البيئة السياسية التي ظهرت فيها الحركة مثل فشل عملية أوسلو للسلام، وفتوى محكمة العدل الدولية بشأن الجدار الإسرائيلي، ومحددات وعوامل أخرى داخلية وخارجية. وتم تقديم هذا التحليل مع هيكل الفرص السياسية بشكل خاص في الفصل الأول حول ظهور حركة المقاطعة وأنماط المقاومة الحضارية (المدنية والعسكرية) المختلفة.

كذلك فإن تحليل المحتوى هو عملية تحليل أنماط المفاهيم والأفكار لاستقصاء المعاني في الدراسة. ويتم عن طريق تحليل الكلمات والعبارات في النصوص، فيما يتعلق بحركة BDS، وقد كان هذا فعالاً لإدراك كيفية فهم الحركة وتصويرها لنفسها. وبشأن تحليل أطر العمل الجماعي للحركة، يدور هنا سؤال: لماذا يعتبر التأطير الذي تتبناه الحركة مهمًا جدًا لنجاحها؟ والتأطير "هو عملية يقوم بها الفاعلون الاجتماعيون بتفسير وتعريف وإعادة تعريف حالات الأمور بشكلٍ مشترك"، بمعنى آخر هو كيف تفسر الحركة الواقع؟ وكيف تعرض ادعاءاتها ومطالبها للجمهور؟ وهو مهم لأسباب داخلية خاصة بالحركة؛ لتكون قادرة على حشد الأنصار والأعضاء حول هدف مشترك. وأسباب خارجية تتعلق بقدرتها على كسب الدعم من الحلفاء والتضامن العالمي، والحصول على تعاطف الرأي العام، فتكون قادرة على مقاومة السلطات "التأطير المضاد"³⁰

³⁰ Robert Benford and David Snow, Ideology, Frame Resonance, and Participant Mobilization, International Social Movement Research, ISSUE no. 1,1988, P. 198.

كان تحليل المحتوى مفيدًا لإلقاء نظرة متعمقة على كيفية عمل الحركة عبر الحدود من خلال حملاتها المحلية، والتي نتناول إحداها بالدراسة، كذلك يعد تحليل الموضوعات المتكررة مثل حقوق الإنسان، وتواطؤ الشركات في انتهاكات إسرائيل للقوانين الدولية، وتحقيق العدالة للفلسطينيين أمرًا مهمًا لفهم دوافع المشاركين في الحركة والاعتراف بكيفية ارتباط حركة المقاطعة BDS بالحركات الاجتماعية العابرة للحدود المعاصرة الأخرى. مجتمعة، ساعدتني كل طرق البحث هذه في الإجابة عن أسئلة الدراسة.

هيكل الفرص السياسية كأداة لتحليل نشاط الحركة:

ظهر مفهوم هيكل الفرص السياسية في سبعينيات القرن الماضي في محاولة من علماء السياسة والاجتماع لتفسير الأنشطة الاحتجاجية للحركات الاجتماعية، مركزين على انفتاح وانغلاق النظام السياسي.

فهيكّل الفرص السياسية يعبر عن البيئة الخارجية المحيطة بالحركات الاجتماعية، وفرضيته الأساسية هي «أن العوامل الخارجية إما أن تقوم بتعزيز تعبئة الحركات، أو منعها».

يوضح تشارلز تيلي أن الفرصة «تصف العلاقة بين مصالح الجماهير والحالة الراهنة للعالم من حولها»³¹. كذلك تلعب المتغيرات الخارجية (السياق الدولي) دورًا في خلق الفرص، لذلك يجب أخذها بعين الاعتبار عند دراسة التغير في هيكل الفرص السياسية.

المقولات الأساسية للمفهوم:

في دراسة الحركات الاجتماعية والعمل الجماعي، يتضح كيف تلعب الفرصة دور العامل الحاسم في التغيير، فقد توجد مقدمات التحول في وقت سابق، قبل ظهورها، كالشعور بالسخط، وفقدان الأيديولوجيا الرسمية للمصادقية، أو تدني أسس شرعية النظام السياسي القائم، وسقوط مسوغاتها في أعين أغلب المحكومين، ورغم ذلك، لا يتأسس العمل الجماعي، إلى أن تولد الفرصة الحقيقية لقيامه. وهو ما لا يمكن رده إلى عوامل ذاتية تتعلق بالخصائص المميزة للجماعة فقط، وإنما كذلك إلى عوامل تتعلق بالدولة وبالسياق البيئي المحيط، ومدى محاباة النظام أو تحيز النخبة أو جهاز الدولة لجماعات بعينها دون سواها، في مجتمع يُعرف التعددية والانقسامات³².

كما أن العمل الجماعي في حالة دراستنا هذه يحمل خصائصه المميزة؛ كونه رفض لاحتلال إحلالي أجنبي ونظام فصل عنصري. وإن كانت دراسات العمل الجماعي تركز بشكل أكبر على أنظمة تفقد الشرعية جزئيًا أو كليًا بسبب ممارساتها، فإن دولة الاحتلال فاقدة للشرعية بمجرد وجود أول مستوطن على أرض فلسطين، ومن ثم نحن في صدد دراسة العمل الجماعي المقاوم الذي له خصائصه وسياقه وتعدد أشكاله وأهدافه حسب خصائص كل مرحلة وإشكالياتها ومتطلباتها.

أولاً: تغير هيكل الفرص من مرحلة أخرى:

³¹ Giugni Marco, Political Opportunity: Still a Useful Concept (in): M. and Chris Tilly, (Editors), Contention and Trust in Cities and States, (Switzerland: Springer Netherlands, 2011), p 272.

³² ناهد عز الدين، مفهوم هيكل الفرص، مرجع سابق، ص 83.

أبرزت الاجتهادات البحثية حول "الجماعات" مقولة مفادها، أن هيكل الفرص هو دائماً عرضة للتغيير والتعديل من لحظة إلى أخرى، مما يعكس جوانب النقلب في العملية السياسية التي تتعدد مساراتها، وتمر بعدد من التحولات والتبدلات وبين مراحل صعود وهبوط، والمحصلة هي أن الجماعات التي تتشكل في سياقها تصبح بدورها عرضة للتغير بين أنماط متباينة، فتحمل سمات التنظيم والمؤسسية تارة، وتأخذ منحى الاحتجاج السلمي والإضراب تارة ثانية، وتسلك سبل الثورة والعنف والتمرد العفوي تارة ثالثة.

نركز في دراستنا على التقسيم الثلاثي للفرص، وفقاً لمراحل العمل الجماعي:

التقسيم الثلاثي للفرص: النشأة-النشاط-الفعالية:

أشار محللو التنظيم الاجتماعي إلى أنه يمر بعملية تطور ثلاثي، ينتقل خلالها من أنماط قيمية إلى ممارسات وأنشطة عملية، ثم ترتيبات مؤسسية تعكس نمطاً معيناً لتوزيع القوة. هذه العملية تفرز هيكلًا من الفرص يتضمن مزيجاً من الخبرات التي قد تسهل أو تعرقل العمل الجماعي. ومن هذا المنطلق، يتضح دور الفرص في تغيير المجتمع، حيث ينتج عن وجودها تعبئة الأفراد والجماعات حول نماذج جديدة للتنظيم، أو توجيه المنظمات القائمة، بالفعل، نحو تبني قضايا جديدة، بحيث تلعب دوراً فاعلاً في تغيير الملامح الرئيسية للواقع المحيط بها، من خلال إعادة رسم الخريطة التنظيمية للمجتمع. وبذلك، صار مفهوم "الفرص" مفهوماً محورياً في تشخيص الدوافع الكامنة وراء ظهور أية جماعة وتطورها، علاوة على فعاليتها من حيث الحفاظ على وجودها ذاته، أو من زاوية القدرة على التأثير والتغيير.

أ- **مرحلة المدخلات: فرص نشأة الجماعة وتأسيسها:** في معظم الأحوال، تجعل عملية التحول المجتمعي النظام السياسي أكثر انكشافاً وتعرضاً للتحديات، وهذه هي الفرصة التي تعد متطلباً سابقاً لقيام أية جماعة، حيث يفوق وزن الفرص وزن عمليتي الإدراك والتعبئة في مرحلة النشأة الأولى، كما أن تكوين الجماعة يتيح خبرات سابقة ودروس مستفادة يمكن أن تسترشد بها الجماعات، التالية لها في الظهور.

وفي هذا الإطار، ميز بروكيت بين نوعين من الجماعات: "جماعات رائدة"، و"جماعات لاحقة". الأولى، هي التي تأسست في وقت سابق، وكان ظهورها سبباً في تغيير معالم البيئة التي نشأت في ظلها الجماعات اللاحقة. وتلك الأخيرة، استمدت الحافز على التعبئة من وجود جماعات سبقتها. فمجرد ظهور الجماعة وتحديدها للنظام القائم، يشكل في حد ذاته، حافزاً مشجعاً للجماعات الأخرى، يدفعها لتعبئة صفوفها. وبينما يتزايد وزن الهيكل المؤسسي - للنظام المستهدف ومؤسساته- في النوع الأول، يقل في النوع الثاني. ذلك، أن الجماعات الأسبق تزيد من تعريض النظام القائم للتحديات، وتتسبب في انكشافه أمام الجماعات التالية، وعجزه عن مقاومة ضغوطها. فحركة الأمريكيين الهنود في الولايات المتحدة تدين بنجاحها في الستينيات إلى حركات الحقوق المدنية والطلابية والنسائية ومعارضتي حرب فيتنام، لأنها أخذت بزمام المبادرة في تحدي النظام القائم.

ب- **مرحلة العملية: فرص تطور الجماعة:** تتسم مجموعة الفرص التي يشتمل عليها السياق السياسي المحيط بالجماعات وقت نشوئها بالاستمرارية، بحيث تواصل تأثيرها على مسار الجماعة وتطورها في المراحل التالية لتأسيسها. ولذا، فإن تباين خصائص الهياكل المؤسسية للنظم السياسية يفضي إلى تباين مسارات تطور الجماعات واستراتيجياتها،

حتى لو كانت متمثلة في ظروف نشأتها وتأسيسها. ففي ألمانيا، شجعت سهولة الوصول للسلطة على اكتساب جماعات البيئة صفة مؤسسية وتحولها إلى "حزب الخضر"، بينما حال غياب فرصة مماثلة لدى نظيرتها الأمريكية دون تطورها مؤسسيًا في صورة حزب سياسي.

غير أن ما يميز مراحل التطور المواكبة لعملية التعبئة التنظيمية عن المراحل الأولى المبكرة المرتبطة بنشأة الجماعة، هو أن تأثير الفرص لم يعد مستقلاً، وإنما يغدو، عقب ممارسة النشاط، أحد مخرجات التفاعل بين تلك الجماعة كفاعل موجود على الساحة من ناحية، والسياق البيئي المحيط الذي تمارس نشاطها في إطاره وتتحرك بداخله من ناحية ثانية، وتكون محصلته إما تعظيم الفرص أو تقليصها.

ج -مرحلة النتائج والمخرجات: مصير العمل الجماعي وفرص فعاليته: نقطة البدء في تحليل دور الجماعة في تغيير الوضع الراهن هي الجمع بين الأهداف والاستراتيجية المعلنة، وما تضطلع به من ممارسات وأنشطة عملية وما يصدر عنها على أرض الواقع من تحركات فعلية. ذلك، بهدف التعرف على درجة التحدي الذي تمثله الجماعة بالنسبة للدولة، والذي يتولد عنه رد فعل النظام، إما بالتجاوب معها، أو بالاستجابة الجزئية، وتلبية بعض مطالبها دون البعض الآخر، أو بتجاهلها والضرب بمطالبها عرض الحائط، ويتحدد بالتالي مصير الجماعة ونصيبها من النجاح أو الإخفاق، ومستوى فعاليتها³³.

ثانياً: الهيكل الدولي للفرص: الأثر المزدوج للمحاكاة والعدوى الدولية

المقولة الثانية المهمة تشير لتجاوز التحيز للسياق الوطني المغلق أو لمحورية الدولة القومية كبؤرة للتحليل، ويقصد به أن الفرص لا تقتصر فقط على التحولات الحادثة في نصوص التشريعات الدستورية والقانونية، أو في خريطة الهياكل المؤسسية، أو في أنماط العلاقات وشبكات التحالفات، أو في العمليات التفاعلية التي تقع داخل حدود الدول، وإنما تشمل، كذلك، أثر المتغيرات الدولية، وهو ما يعني أنها غدت محددًا لفرص تأسيس العمل الجماعي داخل الدولة، وأن المؤثرات الدولية والإقليمية قد تتسرب إلى الداخل، سواء لخلق فرص جديدة، أو لتدعيم وتعزيز فرص قائمة. وعلى الرغم من أن مفهوم "العدوى الدولية سبق أن استعانت به أدبيات التنمية منذ الستينيات، غير أن تأصيله ارتبط في التسعينيات بتجليات العولمة، وبات مفاده أن صنع السياسات داخل حدود الدولة القومية بات يتأثر، في جانب كبير منه، بعوامل دولية خارج تلك الحدود". وبالتالي، نفهم ضرورة التركيز على المتغير الخارجي ودوره في تشكيل الفرصة السياسية³⁴.

ثالثاً: قدم هيكل الفرص الفرضية المركزية وراء تباين الجماعات: يُتيح لنا هيكل الفرص السياسية فهم كيف تتباين أنماط السلوك الجماعي من سياق محلي لآخر ومن مدينة لأخرى لأنها ترتبط بطبيعة "هيكل الفرص السائد على المستوى المحلي".

³³ المرجع السابق، ص 86-88.

³⁴ محمود عبد الحفيظ المهر، الحركات الاجتماعية والفرصة السياسية، مرجع سابق.

كما طرح تفسيراً للتنوع الذي تشهده أحياناً الجماعة الواحدة بين اجنحتها الممتدة عبر حدود أكثر من دولة كالحركات النسائية والطلابية وحركات التحرير الديني والجماعات المناهضة للانتشار النووي والمضادة للتسلح والمدافعة عن السلام.. إلخ، والتي اسست فروعها عبر القومية بقدر ملحوظ من التباين في النشأة، والاستراتيجيات، فضلاً عن مدى النجاح في تحقيق غايات التفكير المستهدفة بحسب درجة الاتساع أو التقلص في الفرص المتاحة لكل منها في كل دولة على حدة، برغم أنها جميعاً تندرج تحت نفس الجماعة.

تساعدنا هذه المقولة في فهم العمل المقاوم داخل فلسطين وخارجها وأسباب تنوع أشكاله واستراتيجياته.

رابعاً: التأثير المزوج لهيكل الفرص كسبب ونتيجة في آنٍ واحد:

تقترن الطبيعة المركبة لهيكل الفرص بتأثيره المزوج، فقد يكون التغيير في أحد أبعاده سلاحاً ذا حدين يفتح ويغلق أبواب الفرص في نفس الوقت ويشكل متزامناً. وكما تخلق الفرص العمل الجماعي، فإن الجماعات بدورها يمكنها صنع الفرص لنفسها وللآخرين. صحيح أنه عادة ما تحمل الجماعة بصمات الفرص التي أفرزتها، ولكن تأثير هيكل الفرص في توقيت النشأة غالباً ما يفوق تأثيره في تحديد نمط العمل الجماعي، ناهيك عن استراتيجياته، لأن هيكل الفرص القائم ليس هو المحدد الوحيد المؤثر في عملية صنع القرار داخل الجماعة، بل تتوسط علاقته بها عمليتي التأطير المسؤولة عن خلق "إرادة التحرك"، و"التعبئة التنظيمية" المسؤولة عن إمكانية التأثير، وهي في نهاية المطاف، محددات مرهونة بالسمات الذاتية للجماعة. وبذلك، يتحول هيكل الفرص من متغير مستقل إلى متغير مستقر وتابع في آنٍ واحد. يمكن أن تفسر المقولة الثالثة كذلك علاقة حركة المقاطعة بغيرها من الحركات التي تتبنى استراتيجيات مختلفة عسكرية كانت أو مدنية.

وختاماً، فإن التحول قد ينجم عن تفاعل الجماعات مع الدولة، ومع بعضها البعض في الداخل والخارج على السواء، فضلاً عن قدرة الجماعة على توليد الفرص لنفسها أو لغيرها.

هذه القدرة ترتبها بكيفية "إدراكها" هيكل الفرص القائم، كما تتوقف عما إذا كان لها دور فاعل في "المبادأة" والمبادرة بطرح التغيير كمطلب، وكذلك في "ابتكار" استراتيجيات جديدة للحركة. أي أن الجماعات لا تستغل الفرص فقط، وإنما هي تشارك في صنعها أيضاً. وبالمثل، فإنها لا تعمل في حدود ثابتة أو معطيات الإطار السائد، ولكنها تبني عليه وتضيف إليه، وقد تُعيد بناءه وصياغته من جديد. فهيكلي الفرص هو عملية مزدوجة، يتجلى فيها دور الجماعات كفاعل في تغيير الوضع القائم، عن طريق ما تقوم به من ممارسات وأنشطة عملية، وليس فقط من خلال ما ترفعه من شعارات وأهداف معلنة. ومن هنا، يتضح دور الجماعة كقوة تغيير³⁵.

³⁵ ناهد عز الدين، مفهوم هيكل الفرص، مرجع سابق، ص 97-100.

**الفصل الثاني: ظهور حركة مقاطعة إسرائيل وسحب الاستثمارات وفرض العقوبات
(BDS)**

مقدمة

المبحث الأول: موجز لتاريخ المقاطعة الفلسطينية.

المبحث الثاني: أنماط المقاومة الحضارية (المدنية، والمسلحة) للاحتلال.

المبحث الثالث: السياق الفلسطيني لنشأة حركة المقاطعة وسحب الاستثمارات وفرض

العقوبات.

خلاصة

مقدمة:

هذا الفصل من الدراسة هو لمحة عامة عن ظهور حركة مقاطعة إسرائيل وسحب الاستثمارات وفرض العقوبات (اختصاراً حركة مقاطعة إسرائيل BDS)، وهو خلفية للفصول اللاحقة التي تحلل تنظيم وتفعيل دور الحركة عبر الحدود. والحجة المركزية لهذه الدراسة هي أن الحركة تمثل نهجاً جديداً ومختلفاً لمقاومة إسرائيل، فتقوم الباحثة أولاً بإبراز كيف أن لفكرة الحركة جذوراً تاريخية ممتدة، حيث يزخر تاريخ النضال الفلسطيني والعربي والعالمي بسلسلة طويلة من المقاطعات وعدم التعاون ومناهضة التطبيع، وثانياً تقوم الباحثة بإيجاز الطرق الرئيسية التي تتشابه بها الحركة أو تختلف عن الأشكال الأخرى لمقاومة إسرائيل؛ لوضع الحركة في مسار تاريخي أكبر للمقاومة الفلسطينية. في الوقت نفسه، من المهم تحديد الطرق التي تتميز بها حركة المقاطعة BDS عن الطرق الأخرى لمواجهة إسرائيل، وكيف يتم ذلك. فعلى سبيل المثال، تختلف الحركة عن المقاطعة العربية والمقاومة المسلحة من حيث إنها تتعارض مع هاتين

الطريقتين من حيث توجيه وتنظيم وتسيير الفعل المقاوم. كما أنها تختلف عن المقاطعة العربية من حيث الأهداف والتفعيل والفاعلين، وتختلف تكتيكياً عن المقاومة المسلحة كما سنرى، وقد ترتبط ويزداد حضورها وتأثيرها مع المقاومة المدنية الشعبية.

بعد ذلك تناقش الدراسة السياق الفلسطيني لنشأة الحركة إذ ثمة افتراضات أن الحركة ذات منشأ أوروبي وأمريكي، الأمر الذي يتلاقى مع توجهات سياسية ونظرية تولي دول الشمال أولوية في إحداث التغيير محلياً. وتجادل الدراسة أنه وإن كان للشمال دور، فإنه لا يمكن فهم الحركة بدون فاعليها الأساسيين، ومن دون التركيز على نشأتها الفلسطينية، فتتناول تفاعلات الانتفاضة الفلسطينية الثانية في المجتمع الفلسطيني وخارجه، وتأثيرها في تبلور حركة المقاطعة، وينتهي هذا الفصل بسؤال عن ارتباط السياق الفلسطيني بسياقات إقليمية وعالمية للحركة.

المبحث الأول: موجز لتاريخ المقاطعة الفلسطينية:

في حين أن المقاطعة هي شكل معروف على نطاق واسع كشكل من أشكال الاحتجاج تم استعمالها في مجموعة واسعة من الظروف، كما هو موضح في مراجعة الأدبيات في مقدمة هذه الأطروحة، إلا أن هناك تاريخ فلسطيني طويل للمقاطعات وعدم التعاون ومناهضة التطبيع يمثل سياقاً ملائماً لحركة المقاطعة الحالية، وتستند الحركة إليه كذخيرة تكتيكية إن أرادت ذلك وتطور فيه.

في السياق الفلسطيني، اتخذت هذه الممارسات عددًا لا يُحصى من التفسيرات. على سبيل المثال، رفض تقديم طلب إلى السلطات الإسرائيلية للحصول على تصريح بالسفر، أو السير في مسارات طويلة حول نقاط التفطيش، أو الاستمرار في العمل أو الذهاب إلى المدرسة في ظروف صعبة. غالبًا ما تكون أشكال الرفض هذه أفعالاً فردية من "المقاومة اليومية" وغير موثقة إلى حد كبير، مما يجعل تتبع مسارها في التاريخ الفلسطيني أمرًا صعبًا. ومع ذلك، عند استخدامها بشكل جماعي، تصبح قوة مؤثرة في تغيير الواقع³⁶.

تم استخدام المقاطعة وعدم التعاون بشكلٍ متكرر طوال فترة النضال الفلسطيني، بينما كانت مناهضة التطبيع أكثر حداثة.

يعود تاريخ المقاطعة الحديث في المدن والقرى الفلسطينية إلى عشرينيات القرن الماضي، حيث قامت الحركات الوطنية والثورية إبان الاحتلال البريطاني بدعوة الفلسطينيين إلى مقاطعة البضائع الصهيونية التي ما لبثت أن تغلغت في أسواقهم. وكان لتكثيف حركات الاستيطان الصهيوني في فلسطين دورٌ كبيرٌ في زيادة حنق أصحاب الأرض من الفلسطينيين، فما فتئت البضائع الصهيونية تتنافس نظيراتها الفلسطينية من حيث الجودة والسعر، حيث امتازت المؤسسات الصناعية الصهيونية باستخدام أساليب وآلات حديثة ومتطورة جلبوها معهم من أوروبا، خفّضت من تكلفة الإنتاج إلى حد كبير³⁷.

³⁶ Morrison S. The Emergence of the Boycott, Divestment, and Sanctions Movement, Op.cit.

³⁷ غسان الخطيب، آفاق المقاطعة الفلسطينية الاقتصادية لإسرائيل: أشكالها وإشكالياتها، (رام الله: المركز الفلسطيني للبحوث السياسية والمسحية، 2016).

انعكس ذلك أيضاً على المنتجات الزراعية، وعلى رأسها البرتقال اليافاوي، الذي كان يمثل أحد أهم الصادرات الزراعية الفلسطينية إلى الدول الأوروبية. ومع توسع مصادرة سلطات الاحتلال البريطاني أراضي الفلاحين الفلسطينيين، ومنح الصندوق القومي اليهودي الأراضي الزراعية في فلسطين لصالح الحركة الاستيطانية تنفيذاً لما جاء في البند السادس لصك الانتداب، توغلت السيطرة الصهيونية في القطاع الزراعي وصادراته، فبدأ المواطن بالإحساس بالضائقة الاقتصادية³⁸.

وعلى الرغم من أن الاستيطان الصهيوني بدأ في فلسطين في سبعينيات القرن التاسع عشر، فإن قدوم الاحتلال البريطاني شهد تكثيفاً للهجرة الاستيطانية الصهيونية ومأسسة المشروع الصهيوني بالسيطرة على القطاعات الحيوية في فلسطين.

فكانت مشاريع التنمية الاقتصادية تهدف، بشكل أساسي، إلى تمكين المستوطنات الصهيونية الناشئة والنهوض بها³⁹.

كانت أول محاولة جلية للحركة الوطنية الفلسطينية لاستخدام المقاطعة سلاحاً ضد القوة المستعمرة في سنة 1922؛ عندما قاطع الفلسطينيون انتخابات المجلس التشريعي التي نظمها الاحتلال البريطاني بغية تمكين المستعمرين الصهاينة من المؤسسات العامة. تبع ذلك حملة لمقاطعة مشروع توليد الكهرباء الذي عهدت به سلطات الاحتلال البريطاني إلى الحركة الصهيونية.

وبقيت حملات المقاطعة المختلفة، آنذاك، قاصرة لعدم نضوج الأحزاب والأطر السياسية الفلسطينية، وفقدانها لاستراتيجية شاملة وواضحة لمواجهة المد الصهيوني. ولكن، ساعدت بداية نشأة وتطور الصحافة الفلسطينية، بدايات العشرينيات من القرن المنصرم، على النهوض بالعمل السياسي وزيادة الوعي الشعبي، وصولاً إلى العام 1936 الذي شهد ذروة الوعي الشعبي والتطور الحزبي في فلسطين، فأعلن العصيان المدني، ودخل الفلسطينيون في حملة مقاطعة لكل أوجه الحياة التي سيطرت عليها سلطات الاحتلال البريطاني، حتى تدخلت الحكومات والوجهاء العرب بطلب من المندوب السامي البريطاني، وأقنعت القيادات الفلسطينية بإيقاف الإضراب، واللجوء إلى التفاوض مع سلطات الاحتلال، ما مكّن القوات البريطانية من تحقيق انتصاراتها على الثورة المسلحة الفلسطينية، التي فقدت المساندة الشعبية الفعلية، فما لبثت أن انتهت الثورة العام 1939، بعد أن دقت الحرب العالمية الثانية أبوابها⁴⁰.

ومع اقتراب رحيل قوات الاحتلال البريطاني عن فلسطين، أتمت المليشيات الصهيونية من استعداداتها للسيطرة الكاملة على فلسطين. فكان للصهاينة السيطرة الاقتصادية على فلسطين من خلال المصانع الحديثة، وميناء تل أبيب الذي أنشئ لمد جسور علاقات اقتصادية مع دول أوروبا والعالم مستقلة عن الاقتصاد الفلسطيني ومكوناته. وحصلت

³⁸ رجا الخالدي، آفاق المقاطعة الاقتصادية الفلسطينية لإسرائيل، السفير العربي، 24 مارس 2016، <https://cutt.us/tg6sn>

³⁹ Ilan Pappé, A history of Modern Palestine: One Land, Two Peoples, (Cambridge: Cambridge University Press, 2006), p 9497.

⁴⁰ رجا الخالدي، آفاق المقاطعة الاقتصادية، مرجع سابق.

المليشيات الصهيونية على تدريب وتسليح عالٍ، إضافة إلى تمرس أفرادها من خلال المشاركة بالوحدات اليهودية التي حاربت في الحربين العالميتين إلى جانب الجيش البريطاني.

وبعد تأسيس جامعة الدول العربية، وعقب انتهاء الحرب العالمية في عام 1945، أعلنت الدول العربية عن حملة مقاطعة للمنتجات الصهيونية، ولكن تلك الحملة أتت متأخرة، ففي أواخر عام 1947، بدأت الحركة الصهيونية بشن حربها للسيطرة على القرى والمدن الفلسطينية، فقامت بارتكاب المجازر، وتهجير أكثر من نصف الفلسطينيين حتى قبل انسحاب القوات البريطانية. كانت الدول العربية قد ربطت تدخلها الرسمي في فلسطين بالانسحاب البريطاني في 15 مايو 1948 حين أعلنت المليشيات الصهيونية قيام دولة إسرائيل، فجاء التدخل العربي متأخرًا مجددًا⁴¹.

وبعد استكمال سيطرة المليشيات الصهيونية على ما يقارب الـ 78٪ من الأراضي الفلسطينية، منتصف العام 1949، انتظرت الجامعة العربية حتى الخمسينيات لإنشاء مكاتب مقاطعة الكيان بشكل رسمي، وكانت لبنان من أولى الدول التي سنت قانوناً للمقاطعة في عام 1955، وتبعتها الدول العربية الأخرى بنصوص قانونية مشابهة. فشهدت تلك السنوات تحول المقاطعة من سلاح محلي إلى سلاح إقليمي يسعى إلى التضييق على الكيان الصهيوني، ومعاينة الشركات العالمية الداعمة له.

واستمرت الحكومات العربية بفرض المقاطعة على دولة العدو حتى ثمانينيات القرن الماضي، حيث قام الرئيس المصري أنور السادات بتوقيع اتفاقية كامب ديفيد، التي فرضت على مصر معطيات جديدة في علاقتها بإسرائيل وسياساتها تجاه القضية الفلسطينية، فتم إلغاء بنود المقاطعة من القانون المصري العام 1980،⁴² وتباعاً، بدأت الدول العربية بإلغاء مقاطعة الكيان الصهيوني بعد تطبيع منظمة التحرير الفلسطينية للعلاقات مع دولة العدو على إثر توقيع اتفاقية أوسلو عام 1993. ولكن شهدت الانتفاضة الأولى حملات مقاطعة شعبية في فلسطين كان لها الأثر الأكبر في إلحاق الضرر بمنظومة السيطرة الإسرائيلية، إلى أن خفّت بريق الانتفاضة، ودخلت القضية الفلسطينية في حالٍ جديدة اتسم بالتطبيع الاقتصادي والسياسي والأمني مع الكيان الصهيوني.

وأدت حالة التطبيع الناشئة إلى هدم أسس المقاطعة في فلسطين والدول العربية في تسعينيات القرن المنصرم، واستمرت السلطة الفلسطينية، وبعض الدول العربية، في تفتيت أسس الصمود والنضال الفلسطيني⁴³. فلم يعد بالإمكان القيام بحملات مقاطعة فعّالة في فلسطين بسبب التحول في الهيكلية الاقتصادية للمجتمع الفلسطيني، حيث بدأ تحويل الاستثمار إلى قطاع الخدمات بالأساس، فاتجه المزارع الفلسطيني إلى المدينة، وبدأت تتفتت سبل الاكتفاء الذاتي التي كانت أحد أعمدة نجاح الكثير من نماذج المقاطعة على الرغم من الهجمة الصهيونية الشرسة لمنعها، فشهدت بيت ساحور، على سبيل المثال، نموذجاً لمقاطعة منتجات الحليب الصهيوني، من خلال تربية الأبقار، وإنتاج الحليب محلياً

⁴¹ وليد الخالدي، خمسون عاماً على حرب 1948 أولى الحروب الصهيونية العربية، (بيروت: دار النهار للنشر، 1998)، ص 27.

⁴² قانون مقاطعة إسرائيل، يونيو 1955، <https://cutt.us/hlwAP>

⁴³ استراتيجيات المقاومة: أعمال المؤتمر السنوي الثالث، (رام الله: المركز الفلسطيني لأبحاث السياسات والدراسات الاستراتيجية - مسارات، يناير 2014)، ص

في انتفاضة 1987، وهو الأمر الذي لم يعد ممكناً مع اختفاء الحيز والخبرات الزراعية والحيوانية في الكثير من البلدات الفلسطينية⁴⁴.

وبدأ الكيان الصهيوني بجهود لتبويض صورته في العالم، وبين الشعوب العربية، من خلال البرامج والنشاطات التطبيعية التي زادت واتسعت، بدعم رسمي فلسطيني أحياناً، على الرغم من المجازر المتكررة في التسعينيات، وذلك إلى أن اشتعلت شرارة انتفاضة الأقصى العام 2000، وبدأت آلة الحرب الصهيونية بتدمير منهجي للقري والمدن الفلسطينية، وارتكاب المجزرة تلو الأخرى، إلى أن وصلت ذروتها العام 2002 في مجزرة مخيم جنين، فبدأت تنشط حركات المقاطعة من جديد، وهذه المرة في الدول الأوروبية وأمريكا الشمالية.

ومع اشتعال انتفاضة الأقصى العام 2000، عادت دعوات المقاطعة في الأقطار العربية للاشتداد مؤقتاً، فتمت مقاطعة الكثير من البضائع الأمريكية شعبياً بسبب ارتباطاتها الاقتصادية بالكيان الصهيوني. ولكن سرعان ما انخفضت وتيرة المقاطعة الشعبية، ومع شبه انعدام للمقاطعة الرسمية، بدأ توسع نوع جديد من المقاطعة؛ ألا وهي المقاطعة النخبوية، واتخذت تلك المقاطعة منحى عالمياً هذه المرة. فقبل أيام من صدور قرار محكمة العدل الدولية بتاريخ 9 تموز 2004، بخصوص جدار الفصل العنصري، التي كانت سلطات الاحتلال قد بدأت ببنائه، أصدر مجموعة من المثقفين والأكاديميين الفلسطينيين، دعوة إلى مقاطعة الكيان ثقافياً وأكاديمياً.. وكانت سبقاتها حملات في الجامعات البريطانية التي أصدرت بياناً تدعو فيه إلى مقاطعة الكيان الصهيوني أكاديمياً عام 2003، ومن ثم أطلقت المؤسسات الأهلية الفلسطينية عام 2005 نداء المقاطعة، بما سمي حركة مقاطعة إسرائيل وسحب الاستثمارات منها وفرض العقوبات عليها (BDS) التي كانت بإلهام من حركة المقاطعة الجنوب أفريقية⁴⁵.

نرى في المقاطعة الفلسطينية ارتباطها بالعمل الشعبي على مر تاريخها، فهي تبدأ من الشعب الفلسطيني وتنتسج إلى الأطراف والعالم، والحق أن الفلسطينيين لم يكفوا عن مقاومة الاحتلال ليوم واحد. فقد تحولت المقاطعة، وهي أحد الآليات المهمة إلى أسلوب حياة للفلسطينيين ومن يؤمنون بعدالة قضيتهم.

ولم يلبث المحتل أن ابتكر أساليب جديدة لمواجهة المقاطعة فسن القوانين، وتم إدماج الاقتصاد الفلسطيني بالكامل في الاقتصاد الإسرائيلي، وتم القضاء على العديد من الصناعات المحلية والزراعات الفلسطينية الأصيلة، ومع استمرار الهجمات يستمر الفلسطينيون في نضالاتهم بكل الوسائل آخرها "إضراب الكرامة" 2021 إضراب شامل "وحد الفلسطينيين من البحر إلى النهر" لإيصال رسالة للمحتل الذي أراد تقسيم أرض وشعب الفلسطيني. فتزامن الإضراب مع المقاومة المسلحة في قطاع غزة والمقاومة الشعبية في القدس، والضفة الغربية، والكثير من مدن وبلدات الداخل المحتل التي شهدت حراكاً غير مسبوقاً.

⁴⁴ معاذ مصلح، السياسات الصهيونية لمحاربة حركة المقاطعة وطرق تفكيكها، المركز الفلسطيني لأبحاث السياسات والدراسات الاستراتيجية- مسارات،

فبراير 2018، ص 35.

⁴⁵ Omar Barghouti, Boycott, divestment, sanctions, Op. cit.

المبحث الثاني: أنماط المقاومة الحضارية (المدنية، والمسلحة) للاحتلال:

طوال فترة النضال الفلسطيني، تم استخدام مجموعة متنوعة من الأساليب لمواجهة الاستيلاء الاستعماري والاحتلال للأراضي الفلسطينية. فالعدوان الإسرائيلي على فلسطين أرضًا وشعبًا وسلطة، استخدم كافة أنماط القوة وأساليب العدوان من النمط العسكري العنيف الذي اشتمل على القتل والأسر والإصابة وهدم المنازل، إلى أنماط نزع ملكية الفلسطينيين بالاستيطان والتهجير، إلى التقسيم المكاني ومؤخرًا الزماني في القدس، وبناء الجدار العازل وتفكيك المدن والقرى الفلسطينية ببناء المستوطنات والحواجز، وختامًا التطبيع الرسمي العربي كحركة استسلام واستجابة لضغط أمريكي وصهيوني. ومن هذا المنطلق الذي تمثل فيه العدوان الإسرائيلي كعدوان شامل على فلسطين، كانت المقاومة الفلسطينية تمثل مقاومة حضارية شاملة بكل أساليبها المدنية والعسكرية، وقيمها الحضارية، ولا يمثل هذا القسم نظرة عامة شاملة على جميع الاستراتيجيات والتكتيكات المستخدمة في النضال الفلسطيني من أجل العدالة، بل الغرض منه هو إظهار بعض الطرق الرئيسية التي تشبه حركة المقاطعة BDS، أو تختلف عنها من الأشكال الأخرى لمقاومة إسرائيل لوضع الحركة في إطارها الأكبر وتمييزها عن الأشكال الأخرى للمقاومة.

أولاً: المقاومة المسلحة:

بالإضافة إلى التكتيكات غير المسلحة مثل المقاطعة وعدم التعاون ومكافحة التطبيع، لعبت المقاومة المسلحة دائماً دوراً في النضال الفلسطيني. فحتى قبل إنشاء دولة إسرائيل عام 1948، تم استخدام التكتيكات المسلحة لمحاربة السلطات البريطانية الاستعمارية والمستوطنين اليهود، فقد كان جزءاً ثابتاً من المقاومة ضد إسرائيل استخدام تكتيكات مسلحة عديدة، ويمكن أن تشمل على سبيل المثال لا الحصر التفجيرات وإطلاق النار والطعن والخطف وإلقاء القنابل الحارقة والصواريخ فيما بعد، وبدءاً من عام 1993 (العام الأول لاتفاقيات أوسلو)، استخدام التفجيرات الانتحارية. كما نوقش أعلاه، تم استخدام عدد من التكتيكات غير المسلحة في الثورة العربية التي بدأت في عام 1936، وكان الإضراب العام لمدة ستة أشهر هو الأبرز من حيث النطاق والمدة، بشكل عام، اتسمت الفترة التي أعقبت سقوط الإمبراطورية العثمانية بالاضطراب على نطاق واسع. كانت الاشتباكات بين السكان العرب الأصليين والمهاجرين الصهاينة متكررة، فضلاً عن المقاومة ضد سماح السلطات الاستعمارية البريطانية للهجرة اليهودية إلى فلسطين. وأشار عدد من الاستفسارات الرسمية البريطانية في ذلك الوقت إلى أن الاضطرابات كانت تعبيراً عن معارضة عربية لإقامة وطن لليهود في فلسطين. وقد صعدت القوات البريطانية من قمع المقاومة المسلحة، وانتهت الثورة عام 1939 بتعميق الانقسامات بين الفلسطينيين العرب.

في السنوات التالية، ساء وضع الفلسطينيين مع خروج بريطانيا من نظام الانتداب، وتم إنشاء دولة إسرائيل لاحقاً في عام 1948، كما تم إنشاء الدول العربية المستقلة بمصالح متباينة بحسب يزيد صايغ⁴⁶. وفي العقد الأول بعد قيام إسرائيل تم توجيه المقاومة الفلسطينية المسلحة "من خلال الأحزاب السياسية القائمة في الدول العربية المضيضة وامتداداتها

⁴⁶ يزيد صايغ، الكفاح المسلح وتكوين الدولة الفلسطينية، مجلة الدراسات الفلسطينية، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، المجلد 8، العدد 32، خريف 1997، ص 10،

في الضفة الغربية وقطاع غزة، أو التي أخذت شكل مجموعات محلية وقصيرة العمر من الفدائيين والطلاب⁴⁷. ازداد عددهم وأصبحوا أكثر تنظيماً، وتأسست منظمة التحرير الفلسطينية في مايو 1964، وفي العام التالي بدأت فتح حرب العصابات والهجمات ضد إسرائيل⁴⁸.

وتبعاً لتحليل يزيد صايغ للكفاح المسلح لم يقترب المجتمع الفلسطيني من "الكتلة الحرجة" اللازمة لتوليد سياسته العلنية الخاصة به، ولدعم حركة وطنية مستقلة سوى في أوائل الستينيات. وليس مصادفةً أن يكون الفلسطينيون بلغوا هذه المرحلة بعد وقت قصير من تحطم الأمل، المعلق على الوحدة العربية، نتيجة انهيار الوحدة المصرية - السورية في سبتمبر 1961 وتجدد الحرب العربية الباردة. دلّ التحرر من وهم السياسة العربية، في أوائل الستينيات، على أن الحكومات المضيفة لم تدمج الفلسطينيين سياسياً بأي طريقة ذات مغزى. وبرز تراكم الضغط، في هذه الفترة، في ظهور العشرات من الجماعات الصغيرة التي تبنت الكفاح المسلح على طريقتها الخاصة. ويقصد تنفيس هذا التوجه واحتوائه، وافق رؤساء الدول العربية على تكوين منظمة التحرير الفلسطينية سنة 1964⁴⁹.

ومنذ انطلاق الثورة الفلسطينية عام 1965 وحتى أواخر الثمانينيات، كانت الحركة الوطنية ملتزمة بشكلٍ عام بالكفاح المسلح ضد إسرائيل. مثل غيرها من الحركات، اعتبرت منظمة التحرير الفلسطينية القوة المسلحة ردّاً مناسباً على الظلم واستراتيجية ضرورية لإكراه خصم قوي على تقديم تنازلات. كما اعتقدت أن الأسلحة ضرورية لحماية مؤسساتها ومكوناتها المدنية من التهديدات العنيفة... أما بالنسبة للفلسطينيين المقيمين خارج حدود إسرائيل، نادراً ما بدا العصيان المدني وعدم التعاون وسيلة قابلة للتطبيق للضغط على الدولة اليهودية⁵⁰.

وعلى الرغم من استخدام بعض المقاومة المسلحة في الانتفاضة الأولى، إلا أنها كانت غير ذات أهمية (مثل إلقاء القنابل الحارقة في بعض الأحيان أثناء المظاهرات). في العقد الذي أعقب الانتفاضة الأولى، خلال عملية أوسلو، استؤنفت المقاومة المسلحة ضد إسرائيل حيث خدم ذلك غرضاً مزدوجاً يتمثل في مهاجمة المحتل وإظهار معارضة عملية أوسلو في السياسة الفلسطينية الداخلية. خلال فترة أوسلو، بدأ تكتيك العمليات الانتحارية، في الغالب على شكل تفجيرات. أعلنت حماس والجهاد الإسلامي مسؤوليتهما عن معظم الهجمات خلال ذلك الوقت، ومن بين الجماعات الأخرى استخدم هذا التكتيك بشكلٍ تزايد في الانتفاضة الثانية.

كان إذا الكفاح المسلح في مرحله الأولى -وباستخدام وجهة نظر فانون عن الجزائر- يُنظر إليه بوصفه طريقة لتسجيل الفلسطينيين كأمة عادت إلى تاريخ العالم، وكان أيضاً وسيلة المنظمة لنيل الاعتراف من أعدائها، ومن المنطقة ومن المجتمع الدولي، ومن الفلسطينيين أنفسهم سواء في الشتات أو من كانوا يعانون إحباطاً. وفي مساحات كبيرة،

⁴⁷ المرجع السابق.

⁴⁸ مروة يوسف، خبرة تطور الصراع العربي الإسرائيلي: الاحتلال والمقاومة عبر مائة عام، مركز الحضارة للدراسات والبحوث، 9 أكتوبر 2017،

<https://cutt.us/F1oBa>

⁴⁹ Yezid Sayigh, *Armed Struggle and the Search for State: The Palestinian National Movement 1949-1993*, (Oxford: Oxford University Press, 2000), pp124

⁵⁰ تشارلز تريب، السلطة والشعب: مسارات المقاومة في الشرق الأوسط، ترجمة: ربيع وهبة، (بيروت: الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ط1، 2016)، ص62.

أوضحت الأفلام والمقابلات في ذلك الوقت أن حمل السلاح من فلسطيني كان فعل مقاومة، لا ببساطة بالمعنى الميكانيكي لمقاومة القوات الإسرائيلية المحتلة، بل أيضًا في تحدٍ لوجهة النظر المهيمنة التي حرمتهم من الحق في أي شكل من أشكال التمثيل الجماعي. تلك الرؤية التي عبرت عنها بأقصى إيجاز السياسية الإسرائيلية غولدا مائير في عبارتها الشهيرة في عام 1969 من أنه (لم يكن هناك ما يُسمى فلسطينيون ... لم يكن لهم وجود)، وشاركها فيها كثيرون آخرون، كان ظهور المقاومة الفلسطينية المسلحة مقصودًا بها إثبات أنهم كانوا على خطأ⁵¹.

محطة أخرى من محطات الكفاح المسلح بدأت بعد أوسلو، كانت سلطتهم محل شك بالفعل لدى التنظيمات الفلسطينية التي اعتبرت اتفاقية أوسلو ١٩٩٣ استسلامًا فلسطينيًا غير مبرر، ولا سيما أن التنظيم الإسلامي الرئيس الناشط في الأرض المحتلة، حماس، ظهر كصاحب دور بارز في السياسة الفلسطينية في أثناء انتفاضة الثمانينيات. لقد تطورت عبر قواعدها الشعبية، ولا سيما في قطاع غزة، بوصفها ناقدة لا تلتين لمنظمة التحرير وقوات الاحتلال الإسرائيلي، وكان النضال المسلح بالنسبة إلى حماس في تلك المرحلة من أجل تحرير كامل فلسطين التاريخية ما زال صفة مميزة، حتى ولو بدت بعيدة كل البعد عن الواقع بالنسبة إلى كثيرين. وقد أسس جناحها العسكري، كتائب عز الدين القسام، إحياءً لذكرى أحد المنظمين الأوائل للمقاومة الفلسطينية، في نهاية الانتفاضة وانطلق بهجمات على الأهداف العسكرية الإسرائيلية.

ومثلها مثل منظمة التحرير في بداية عملها كمقاومة مسلحة، بدت حماس وكأنها ستستخدم النضال المسلح لجذب الانتباه إلى قسم جوهري من المجتمع الفلسطيني الذي رفض التسوية الخاسرة. كانوا يشيرون إلى رفضهم لنظام ما بعد أوسلو، ومثلما ذكر أول بيان لحماس في ديسمبر عام ١٩٨٧: «ألا يعلم كل المستوطنين المستهترين أن شعبنا عرف ويعرف طريقه، طريق الاستشهاد وطريق التضحية، وأن شعبنا جواد كريم في هذا الميدان ... وليعلموا أن العنف لا يولد إلا العنف وأن القتل لا يولد إلا القتل»⁵². وهذا ما يردد صدى حملة جبهة التحرير في الخمسينيات.

المقاومة المسلحة - كما يتضح - طريقة للتواصل مع القوة المهيمنة، وفي هذا السياق، أصبح استخدام التفجيرات الانتحارية تكتيكيًا نافذ المفعول من حركة حماس، ولا سيما في أعقاب المذبحة الشهيرة لتسعة وعشرين فلسطينية في الحرم الإبراهيمي على يد مستوطن إسرائيلي عام 1994. بعدها أصبح الجمهور الإسرائيلي بأسره، لا قواته الأمنية أو بنية الدولة الأساسية فحسب، أهدافًا لحملة متواصلة من الكفاح المسلح. في هذه الحملة أثبتت التفجيرات الانتحارية مدى ترويعها، خصوصًا مع الزيادة الشديدة في تكرار هذه التفجيرات وتأثيراتها المدمرة بعد عام ٢٠٠٠، رأى بعضهم هذا طريقة لمواجهة عدم التوازن في القوة، على سبيل المثال، زعم فتحي الشفاقي من حركة الجهاد الإسلامي أن عمليات الاستشهاد ... خيار واقعي في مواجهة توازن غير متعادل من القوة، فلو كنا عاجزين عن التأثير في توازن القوى الآن، يمكننا تحقيق توازن في الرعب.

⁵¹ Yezid Sayigh, *Armed Struggle and the Search for State: The Palestinian National Movement 1949-1993*, Op. cit. pp124

⁵² يزيد صايغ، السلطة والشعب مسارات المقاومة في الشرق الأوسط، مرجع سابق، ص 68.

بين مارس وأبريل ٢٠٠٤، بعد استهداف قادة حركة حماس وتغيير قيادة السلطة الفلسطينية بعد موت عرفات وبعد العمليات التي شنتها حماس والجهاد الإسلامي طوال فترة الانتفاضة الثانية، أحداث الموت تزامنت مع مبادرة من رئيس الوزراء في ذلك الوقت شارون للانسحاب من غزة. فاعترافه الضمني بعناد المقاومة وفشل الأساليب الإسرائيلية في إنهاؤها، دفعه إلى أن يعلن في عام 2003 أن إسرائيل ستفكك مستوطناتها في القطاع، وهي العملية التي اكتملت في منتصف عام 2005. وبالفعل انسحب المستوطنون والقوات العسكرية الإسرائيلية، ولكن بقيت إسرائيل مهيمنة على الحدود، والمعابر المتاخمة لحدودها، وكذلك منافذ الوصول إلى البحر والجو. وهو ما دل من ثم على عدم انتهاء السيطرة الإسرائيلية على قطاع غزة، وكذلك لم يمنع القصف والتوغل الإسرائيلي المتكرر في المنطقة على مدى السنوات اللاحقة. ولكنه شجع الإيمان، على غرار ما حدث في الجزائر إبان الخمسينيات، بأن المستوطنين الأجانب سيرحلون عندما ترى الحكومة المسؤولة عنهم أنه لم يعد من المصلحة حمايتهم - وهي حسبة تحققت بفعل استعداد المقاومة لاستخدام القوة المسلحة.

لقد بدأ الاعتراف المبكر بقوة المقاومة العنيفة في عام 2002، ولكنها حققت زخمها في أثناء هذه السنوات. وكان ذلك ببناء حاجز - في بعض الأماكن جدار خرساني، وفي أماكن أخرى نظام من الأسوار - قُصد به توفير الوسائل المادية لفصل الضفة الغربية المحتلة عن إسرائيل. وقد بدأ ضم عدد من المستوطنات التي أقامتها إسرائيل على الأراضي المحتلة ضمن نطاق الحاجز إشارة واضحة على أنها تعني أكثر ما تعني إعادة رسم الخريطة، وجعل مستقبل مستوطنات إسرائيلية بعينها غير قابل للتفاوض. فالخط المتعرج للحاجز يمتد بطول ٧٩٠ كم - ما يساوي تقريباً ضعف طول حدود 1967 مع الضفة الغربية - مستولياً على أكثر من 8 في المئة من أرض الضفة. وقد سبق لإسرائيل أن نصبت حاجزاً مثله حول غزة لمنع التسلل إلى إسرائيل لمن يقرر تنفيذ عمليات تفجير انتحاري أو أي أعمال عنف⁵³.

فالأمير إذا كما رآه فرانز فانون (Frantz Fanon) أنه فقط عندما أقر الفلسطينيون بحقهم في الأرض والسلطة وحملوا السلاح في وجه المستعمر والمحتل أعادوا تقديم أنفسهم بوصفهم فاعلين في تاريخهم. كان الكفاح المسلح طريقة لتطوير الاعتراف الذاتي الذي سيكسبهم بدوره الاعتراف من المستعمرين وغيرهم. كانت المقاومة المسلحة، إذا، في نظر فانون محصلة لوضع تاريخي متجذر في العنف وفي الوقت نفسه آلية للتحرير، وعلى الرغم من أنه كان متخوفاً من تأثيراته طويلة الأمد في من استخدموه حتى في مشروع التحرر الذاتي، فقد رأى فانون "العنف" / الكفاح المسلح كجانب لا مفر منه من جوانب الوضع الذي خلقته الحركة الاستعمارية، كما أنه كان خطوة ضرورية ولكنها في النهاية لا تكفي للتحرير الوطني⁵⁴.

تختلف حركة المقاطعة الحالية BDS اختلافاً كبيراً عن المقاومة الفلسطينية المسلحة. من الناحية التكتيكية، تختلف في أشكال تحدي إسرائيل اختلافاً جذرياً حيث لا يتم استخدام أي أسلحة مادية كجزء من دعوة المقاطعة أو الحركة الأوسع عبر الحدود. من الناحية الاستراتيجية، تُستخدم التكتيكات بطرق مختلفة أيضاً. فالهجمات المسلحة غالباً ما

⁵³ تشارليز تريب، السلطة والشعب: مسارات المقاومة في الشرق الأوسط، مرجع سابق، ص 57-69.

⁵⁴ المرجع السابق، ص 46-57.

تهدف إلى إنهاء إسرائيل إلى النقطة التي يتم فيها تقديم التنازلات من عدم القدرة على الاستمرار في الوضع الراهن. أما المقاطعة وسحب الاستثمارات والعقوبات من ناحية أخرى، فهي تكتيكات سياسية تستخدم استراتيجية أوسع للضغط على إسرائيل وإقناعها بالامتثال للقانون الدولي واحترام المبادئ العالمية لحقوق الإنسان. بالإضافة إلى أن المقاومة المسلحة تكون أحياناً عشوائية، على الرغم من أنها كثيراً ما تم تفعيلها في النضال الفلسطيني من خلال القنوات السياسية المنظمة مثل الفصائل أو الجماعات المسلحة المنشقة.

ثانياً: المقاومة المدنية

المقاومة المدنية هي مقاومة شعبية لا تستخدم المقاومة المسلحة لكنها لا ترفضها إذا ما جاءت ضمن القرار الوطني، ومن ثم فهي لا تمثل ترسيخاً لعقلية الاستسلام للأمر الواقع ولقبول تسوية تقتصر إلى أدنى حدود العدالة، وهي دعامة رئيسة من دعائم العمل الانتقاضي والمقاومة الشعبية الشاملة. والمقاومة المدنية المطلوبة من سماتها أنها ترفض التفاوض اللانهائي دون تحقيق أي أهداف، وترفض مشاريع التسوية التي لا تجدي نفعاً بل تستخدم كوسيلة لكسب الوقت في بناء مزيد من المستوطنات. من سمات المقاومة المدنية أيضاً أنها مقاومة قديمة قدم نشأة أول مستوطنة صهيونية على أرض فلسطين، ومن ثم فهي ليست ظاهرة جديدة كما يُصور البعض ممن يحلو لهم وصف الفلسطينيين بالإرهاب. والمقاومة المدنية تتعدد أشكالها، وجزء منها مقاطعة البضائع الإسرائيلية والمظاهرات والمسيرات، وصولاً إلى الإضراب العام والعصيان المدني، وإلى الأنشطة السياسية، وما شابه. والمقاومة المدنية القوية والناجحة لا بد أن يقوم بها مجتمع موحد ومتماسك قياداً وشعباً في كل مراحلها، فمصدر قوة أي حركة من حركات المقاومة المدنية تكمن في هذه السمة، وبدون هذه الوحدة لا تستمر ولا بد أن تحظ بدعم وتأييد حركة تضامن دولية وحركة مقاطعة شاملة ومتنوعة في الداخل والخارج⁵⁵.

الحركات المدنية الفلسطينية تتعدد أشكالها وترتبط بالانتفاضة بشكل كبير، ومفهوم الانتفاضة في سياقه العربي هو: "مقاومة شعبية مستمرة ومواجهة حضارية شاملة، بكافة الوسائل المدنية والعنيفة"، وهذا يعني أن المقاومة المدنية بالنسبة للانتفاضة بمثابة الجزء من الكل⁵⁶.

ويمثل الحراك الشعبي الذي شهدته مؤخراً قرى منطقة نابلس منذ مايو 2021، وخصوصاً بيتا وبرقة، نموذجاً يُحتذى في المقاومة المدنية التي تحقق نجاحات، ليس على صعيد دفع الاحتلال إلى التخلّص من بعض البؤر الاستيطانية التي تأكل مساحات شاسعة من الأراضي الفلسطينية فقط، بل لإبراز أهمية هذا النوع من النضال الذي يشترك فيه كافة أفراد المجتمع.

وما يميز حركات بيتا وبرقة، وقبلها ما كان يحدث في البلدات والقرى التي صادر الجدار العنصري مساحات واسعة من أراضيها، والتي نجحت في حرف الجدار عن مساره، وإن كان بناؤه ما زال متواصلًا، أنها حركات نظمتها أهل تلك

⁵⁵ بشير أبو القرايا، المقاومة المدنية في الضفة الغربية في مواجهة الاستيطان الإسرائيلي، مركز الحضارة للدراسات والبحوث، 11 إبريل 2017،

<https://cutt.us/VusyJ>

⁵⁶ د. بشير أبو القرايا، النموذج الانتقاضي الفلسطيني.. دراسة في الحركة الوطنية والظاهرة الإسلامية، (بيروت: دار العربية للعلوم، 2014، ط1)، ص155-

القرى والبلدات، والتحق بها بعض الفصائل، وأنها غير خاضعة لمصالح الفصائل الضيقة، وإنما تتبع من الحاجة إلى مقاومة مساعي الاحتلال لمصادرة أراضي الفلسطينيين وإفقرهم، كما يُميزها ظهور قيادات ميدانية متفانية، وعمل جماعي يضم مختلف الشرائح والأعمار، وتؤدي فيه النساء دوراً محورياً.⁵⁷

إشكالية العلاقة بين المقاومة المدنية والمقاومة المسلحة:

من منظور المقاومة الحضارية، وهو إطار تنظيري عام يحكم قواعد الحركة والتفاعل، فإن المقاومة المدنية رغم أهميتها لا تعد بديلاً أو نقيضاً للمقاومة المسلحة، فكلاهما مكمل للآخر، لكن على مستوى الممارسة السياسية في الواقع الفلسطيني يوجد من يؤمن بالمقاومة المدنية ويرفض الكفاح المسلح ويوجد من يؤمن بالكفاح المسلح ويرفض المقاومة المدنية.

ومن دلالات هذا التكامل أن المقاومة المسلحة نطاقها الزمني والجغرافي والسكاني ذات نطاقٍ محدود، وهذا أمر طبيعي، لكن المقاومة المدنية نطاقها أكبر، إذ تشمل الشعب كله دون التقيد بزمن أو نطاق جغرافي، لذلك فكلاهما مكمل الآخر، وربما يتتابان الصعود والخبو في بعض الأحيان. في الوقت نفسه، المقاومة المدنية تنظيمها أصعب كثيراً من المقاومة المسلحة، لأن المقاومة المسلحة تقتصر على تنظيم وأداء عدد محدود من الناس، بينما المقاومة الشعبية حتى تكون ناجحة ومؤثرة فهي تتطلب تجنيد الآلاف، وبالتالي هي أصعب، وإن كانت أكثر تأثيراً أحياناً.⁵⁸ وضمن هذا السياق تعتبر المقاومة المدنية خطة طويلة الأجل تركز على حياة الناس اليومية، فتشدد من أزهم وتقوي قدرتهم على التشبث بأرضهم وتخلق لهم أملاً قوياً بالمستقبل وتمكن كل من يُهدم بيته من إعادة بنائه، وتؤسس هيئات فاعلة للمدافعة عن الأسرى، وتُنشئ مؤسسات تشغيل لصد موجات الهجرة إلى الخارج، وتُنظم اعتصامات وتظاهرات وحملات مناصرة دولية. فالعالم بأسره ساحة لممارسة المقاومة المدنية وشعوب العالم وهيئاته ومؤسساته فاعلون أساسيون.

المقاومة المدنية بين تيارين متناقضين:

رغم أن الصراع في الساحة السياسية الفلسطينية الآن ليس بين مقاومة مدنية ومقاومة مسلحة، إلا أن مشكلة المقاومة المدنية أنها أسيرة بين تيارين متناقضين هما تيار المفاوضات والتسوية السلمية وتيار المقاومة المسلحة. التيار الأول، يريد أن يطوع المقاومة المدنية لخدمة توجهاته ويعزلها بشكلٍ كامل عن أشكال المقاومة العنيفة ويجعلها أداة ضغط يستخدمها لتحقيق أهدافه التفاوضية، ومن ثم يتحكم في الإرادة الشعبية، وهذا مناف لمنطق الواقع، ففي التجارب العالمية كانت دائمة القوى السياسية تأتمر بأمر الإرادة الشعبية وليس العكس. أما التيار الثاني، فإنه قد ينظر للمقاومة المدنية نظرة استخفاف، لأنه لا يعتبرها مقاومة فعلية كما هو الحال بالنسبة لنظرة للمقاومة المسلحة، لذلك فهو لا يهتم بها ولا يطورها ولا يعمل من أجلها، وربما يسعى إلي تقليصها لأنه يعتبرها

⁵⁷ عبد الباسط خلف، بيتا وُبرقة نموذجان للمقاومة الشعبية، مجلة الدراسات الفلسطينية، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، العدد 30، ربيع 2022،

<https://cutt.us/gGS20>

علامة ضعف. وهنا فإن عدم الوعي بأهمية المقاومة المدنية، التي ينبغي العمل على تطويرها لتأخذ طابعاً شعبياً شاملاً وتصير نمط حياة دائم، فإنه يُسهم في غياب الإجماع الوطني على مثل هذا النوع من المقاومة الذي أثبت نجاحه في تجارب عالمية.

ثالثاً: مقاطعة جامعة الدول العربية

بالإضافة إلى استخدام التكتيكات والاستراتيجيات المذكورة أعلاه من قبل الفلسطينيين ونشطاء التضامن، بدأت الدول العربية المقاطعة قبل إنشاء دولة إسرائيل، وأضفت الطابع الرسمي على المقاطعة من قبل جامعة الدول العربية بعد عام 1948. قبل ذلك الوقت قاطعت الدول العربية المنتجات اليهودية والخدمات مع زيادة الهجرة اليهودية في فلسطين في أوائل القرن العشرين. تم ذلك لمنع التنمية الاقتصادية لاقتصاد قائم على الأموال الصهيونية لإنشاء وطن لليهود في فلسطين. صدر أول إعلان رسمي للمقاطعة من قبل مجلس جامعة الدول العربية في عام 1945، وفي العام التالي أنشأت الجامعة لجنة المقاطعة الدائمة، والتي تم إنشاؤها لمراقبة وتقييم تنفيذ المقاطعة في الدول الأعضاء⁵⁹.

تتكون المقاطعة من ثلاثة مستويات - المقاطعات الأولية، والثانوية، والدرجة الثالثة. تمنع المقاطعة الأساسية مواطني دول الجامعة العربية من الدخول في علاقة عمل مع مواطن إسرائيلي أو الحكومة، وتحظر المقاطعة الثانوية إبرام عقود تجارية مع شركات خارج دول الجامعة تتعامل مع إسرائيل. تمتد المقاطعة من المستوى الثالث إلى الشركات التي تتعامل مع الشركات المدرجة في القائمة السوداء لخرقها المقاطعة الثانوية.

في عام 1947، أصدرت الجمعية العامة للأمم المتحدة القرار رقم 181، الذي دعا إلى تقسيم فلسطين إلى دولتين منفصلتين يهودية وعربية. الدول العربية لم تقبل القرار، وبالتالي كثفت تطبيق المقاطعة. بعد عدة سنوات في عام 1951، أنشأت جامعة الدول العربية منصب مفوض المقاطعة وأنشأت مكتب المقاطعة المركزي (CBO) في دمشق. على غرار لجنة المقاطعة الدائمة السابقة، كان دور المفوض والمنظمة المجتمعية هو ضمان تطبيق المقاطعة والتنسيق مع مكاتب المقاطعة في الدول الأعضاء. بالإضافة إلى ذلك، أنشأ البنك المركزي العماني قوائم سوداء للشركات التي تنتهك نظام المقاطعة. بعد مرور عام على إنشاء مفوض المقاطعة والمنظمة المجتمعية، تم إنشاء دائرة فلسطين في أمانة جامعة الدول للإشراف على البنك المركزي العماني. في عام 1954، تم تمرير القانون الموحد لمقاطعة إسرائيل من قبل مجلس جامعة الدول العربية، والذي حاول تبسيط التطبيق المتسق للمقاطعة. أقرت جامعة الدول نص القرار وأدرج في القوانين الوطنية لمعظم الدول الأعضاء⁶⁰.

الوضع الحالي لمقاطعة جامعة الدول العربية غير ذي أهمية لأن لوائحها غير ملزمة للدول الأعضاء، وكل دولة تقرر بنفسها مقدار تنفيذ المقاطعة. العديد من الدول والكيانات لديها علاقات اقتصادية أو دبلوماسية مع إسرائيل، مثل

⁵⁹ Gil Feiler, From Boycott to Economic Cooperation: The Political Economy of the Arab Boycott of Israel, (London: Frank Cass Publishers, 1998), pp24-25, 32.

⁶⁰ Ibid, P. 26-32.

مصر والأردن والسلطة الفلسطينية. بالإضافة إلى ذلك، أعلنت دول مجلس التعاون الخليجي في عام 1994 أنه سيتم رفع المقاطعات الثانوية والثالثة وسيتم فرض المقاطعة الأولية فقط في تلك البلدان.

الأهم من ذلك، تختلف حركة المقاطعة الحالية اختلافاً كبيراً عن مقاطعة جامعة الدول العربية لإسرائيل. الاختلاف الأهم هو مصدر المقاطعة. مقاطعة جامعة الدول العربية هي مقاطعة قائمة على الدولة في حين أن حركة المقاطعة المعاصرة تقوم على جهود التنظيم الشعبية. بينما سعت الجامعة إلى تطبيق المقاطعة على الشركات الواقعة خارج حدودها، إلا أنها مصدرها تلك الدول التابعة للجامعة، في الشرق الأوسط وشمال إفريقيا والقرن الأفريقي. في حركة المقاطعة الحالية، يمكن إنشاء حملة في أي مكان في العالم من قبل أي شخص يختار القيام بذلك. بالإضافة إلى ذلك، تنطبق مقاطعة الدول الأعضاء في الجامعة على السلع والخدمات، ولكن، تنطبق حركة المقاطعة الشعبية على مجموعة واسعة من الشركات (من خلال مبادرات سحب الاستثمارات، ومقاطعة المستهلكين) والعاملين الثقافيين والمناسبات (من خلال المقاطعة الثقافية) والمؤسسات الأكاديمية والأحداث ذات الصلة (من خلال المقاطعة الأكاديمية) والأحداث الرياضية (من خلال المقاطعة الرياضية). تتكون حركة المقاطعة الحالية من هذه الحملات المكونة لها العابرة للحدود واسعة النطاق، وهي مختلفة تماماً من حيث الهيكل التنظيمي وعمليات مقاطعة الجامعة على مستوى الدولة.

المبحث الثالث: السياق الفلسطيني لنشأة حركة مقاطعة وسحب الاستثمارات وفرض العقوبات BDS

خلال الانتفاضة الفلسطينية الثانية التي انتهت في العام 2004، ظهر توجه قوي لدى الفلسطينيين قائم على ضرورة الاستفادة من التجارب السابقة الفعّالة في المقاومة، ومنها توظيف جهود التضامن الدولية وتحدي الاحتكار الاقتصادي الإسرائيلي للفلسطينيين، وبذل جهود النضال والمقاومة في ظل الغياب المتواصل لمشروع التحرر الوطني⁶¹. كما أن الحركة تزامنت نشأتها مع واستفادت من زخم الحركات العالمية التي سعت لعولمة بديلة أو مناهضة للحرب ضد العراق في مطلع الألفية الجديدة، وتمتلك الحركة امتداداً لا يُستهان به في أوروبا والولايات المتحدة. ويُشير متضامنون رئيسيون مع الحقوق الفلسطينية، في لندن وبروكسل على سبيل المثال، إلى أنهم بدأوا بالمقاطعة قبل نشأة حركة BDS⁶². ويتفاجأ كثيرون منهم عندما يعلمون بأن مقاطعة البضائع والمؤسسات الإسرائيلية كانت أداة واسعة الانتشار في الأراضي الفلسطينية المحتلة، وخصوصاً في بداية الانتفاضة الثانية، وكانت تنضوي على امتداد موجات مقاطعة تاريخية.

⁶¹ عمرو سعد الدين، السياق الفلسطيني لنشوء حركة مقاطعة إسرائيل BDS، مجلة الدراسات الفلسطينية، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، العدد 109، شتاء 2017، <https://cutt.us/zGEmv>، ص 64-80.

⁶² Sophia Abdallah, Complicity and Apartheid: On Campaigning for Palestinian Rights in Belgium, al-Majdal magazine, issue 54, Autumn 2013.

وخلافاً لما توجي به أدبيات أساسية عن الحركات الاجتماعية العابرة للحدود⁶³، فإنه كي نفهم حركة ما، يتعين علينا فهمها في سياقها الوطني إلى جانب سياقات عالمية.

وتركز هذه الدراسة على فهم نشأة حركة المقاطعة في سياقها الفلسطيني من دون إهمال السياقات الإقليمية والعالمية. **أولاً: من أوسلو إلى الانتفاضة الثانية (السياق الفلسطيني للحركة):**

لم تتبع حركة المقاطعة (BDS) خلال فترة نشوئها (تحديداً منذ الانتفاضة الثانية حتى مؤتمرها الأول في سنة 2007 نموذج الطبقة المرتد (البومرنغ) في اتجاه دول الشمال، غير أنها اتخذت مساراً مباشراً في اتجاه أوروبا والولايات المتحدة للضغط على إسرائيل. إلا أن هذا المسار لم يكن ليتم لولا التفاعلات الفلسطينية وتدخل مسارات أخرى منها المسار العربي ومسارات مساندة في دول الجنوب. وقد حدث هذا خلال تلك الفترة من نشأة الحركة.

لقد سقط الاعتقاد بالتسوية السلمية في الانتفاضة الثانية لدى شرائح واسعة من الفلسطينيين، وكانت بدايات حقبة أوسلو ملأى إماً بانتظار أمل سيطر، وإماً بالتردد في تقويم عملية التسوية، عبر قبول بعض مسلماتها ورفض أخرى. وبات حل الدولتين يلقى قبولاً أوسع لدى النخب السياسية الفلسطينية في الداخل، وإن بقي الاعتراض على جوانب أساسية من اتفاق أوسلو حاضراً بقوة مثل عدم اشتراط وقف الاستيطان. لكن كان هناك أيضاً من رفض عملية أوسلو، سواء من طرف تنظيمات فلسطينية، أو كتّاب، فعلى سبيل المثال، ومنذ البداية، اعتبر إدوارد سعيد اتفاق أوسلو بلا جدوى وتنازلاً كبيراً، لأن الطيف السياسي الإسرائيلي، بيمينه ويساره، غير مستعد للتنازل عن موضوعي الاستيطان والقدس⁶⁴.

على مستوى الجهات المانحة غير الرسمية، حدث تحول في التمويل إلى الجامعات وكثير من المنظمات المدنية، من مصادر عربية وأخرى أوروبية ومن الشمال بشكل رئيسي، ورافق ذلك تحوّل في عمل كثير من المنظمات المدنية بهدف إيلاء أهمية للمهنية والاحترافية والتنمية وبناء الدولة على حساب مقاومة الاستعمار الإسرائيلي وتنظيم أساليب هذه المقاومة⁶⁵.

وحدث تحول أساسي في عمل المنظمات المدنية التي نشأ كثير منها في أوساط مقاومة الاحتلال الإسرائيلي في ثمانينيات القرن الماضي، وخصوصاً خلال الانتفاضة الأولى، إذ عمد كثير منها إلى مشاريع مشتركة مع الجانب الإسرائيلي وصلت إلى نحو 500 مشروع مشترك. وكانت هذه المنظمات ترتبط غالباً بتنظيمات سياسية فلسطينية كحركة فتح والجبهتين الشعبية والديمقراطية والحزب الشيوعي الفلسطيني⁶⁶.

كما أن عملية أوسلو دفعت في اتجاه مزيد من التشطي في الحقل السياسي الفلسطيني، وكانت عملية اتخاذ القرار في مفاوضات أوسلو السرية تقررًا بالقرار السياسي الفلسطيني في لحظة حاسمة. ولم يلق اتفاق أوسلو إجماعاً فلسطينياً

⁶³ Margaret Keck and Kathryn Sikkink, *Activists Beyond Borders: Advocacy Networks in International Politics*, (New York: Cornell University, 1998).

⁶⁴ Gabi Baramki, *Peaceful Resistance: Building a Palestinian University under Occupation*, (New York: Pluto Press, 2010).

⁶⁵ عمرو سعد الدين، السياق الفلسطيني لنشوء حركة مقاطعة إسرائيل BDS، مرجع سابق.

⁶⁶ المرجع السابق.

متوازناً، وإنما عزز التجاذب، مترافقاً مع محاولة السلطة الفلسطينية الناشئة، والمتخوفة من قلة الإجماع على عملية أوصلو، تشديد سلطتها الأمنية واحتكار القرارات على حساب تعزيز المشاركة الضعيفة أصلاً. فضلاً عن التشطي الذي يعاني جزاءه الفلسطينيون بين أكثر من شتات وأكثر من داخل، فإن ما نصّت عليه مراحل أوصلو من فصل بين الضفة الغربية وقطاع غزة، وتقسيمها إلى مناطق إدارية تخضع كل واحدة منها لحكم مختلف، أحدث تشطيًا سياسيًا جديدًا.

وزاد في حدة هذا التشطي استقطابات عالمية وإقليمية للتيارات الفلسطينية، فبينما جرّمت الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي (خلال الانتفاضة الثانية) التعامل مع "حماس"، كانت الاستقطابات الإقليمية تفعل فعلها بدورها، وأبرزها استقطاب ما عُرف بمحوري الممانعة والاعتدال. كما أن عمليات التمويل الدولية للمنظمات المدنية ساهمت في التباعد بين العمل المدني والسياسي.

إقامة جدار الفصل

- مارس 2002 الجيش الإسرائيلي يشن عملية عسكرية (أطلق عليها اسم الدرع الواقي) في الضفة الغربية المحتلة، ويشرع في تشييد حاجز لمنع المسلحين الفلسطينيين من دخول إسرائيل. ولكن مسار الجدار أصبح مثيراً للجدل خصوصاً وأنه لم يتبع خط وقف إطلاق النار لعام 1967 وضم في كثير من الحالات أراضٍ فلسطينية إلى إسرائيل.

- يوليو 2004، محكمة العدل الدولية تصدر قرارًا استشاريًا غير ملزم يقول إن جدار الفصل الإسرائيلي ينتهك القانون الدولي ويجب إزالته⁶⁷. وقد كان قرار محكمة العدل نقطة قوة في خطاب الحركة كحركة حقوق إنسان تنادي باحترام القانون الدولي.

ثانيًا: التفاعل الفلسطيني مع أوساط التضامن العالمية:

سادت المقاطعة لدى مختلف الفئات الفلسطينية في أثناء الانتفاضة الثانية، وكان كل طرف فلسطيني يتواصل مع الأقرب إليه خارج فلسطين. مثلاً، خلال الفترة الأولى من تلك الانتفاضة، توجهت هيئة تنسيق الانتفاضة إلى الشعوب العربية كي تحضّها على الضغط على حكوماتها ومقاطعة المنتجات الأمريكية والإسرائيلية، وحدثت موجات واسعة من المقاطعة العربية لهذه المنتجات، أو لشركات تُتهم بدعم إسرائيل⁶⁸، كما كان هناك من يتواصل مع أطراف برلمانية أوروبية، فعلى سبيل المثال، كان مروان البرغوثي يُقيم علاقات قوية ببرلمانيين أوروبيين. وفي أثناء الاجتياح الإسرائيلي للمناطق الفلسطينية في أبريل 2002، أوصى الاتحاد الأوروبي بمقاطعة بضائع المستعمرات الإسرائيلية، وفرض حظر تصدير السلاح إلى إسرائيل (والسلطة الفلسطينية)، وهي توصيات لم تأخذ بها الجهات التنفيذية الأوروبية⁶⁹.

⁶⁷ تسلسل للتاريخ الفلسطيني منذ الحرب العالمية الأولى، BBC، 27 يوليو 2017، <https://cutt.us/7tlpC>

⁶⁹ Omar Barghouti, Putting Palestine Back on the Map: Boycott as Civil Resistance, Journal of Palestine Studies 35, no. 3 2006, P55.

وبالمثل، كان هناك تواصل بين منظمات فلسطينية مثل "بديل" (المركز الفلسطيني لمصادر حقوق المواطنة واللاجئين)، ومنظمات بلجيكية، ومنها ممول لـ"بديل" آنذاك (أوكسفام بلجيكا). واللافت هو أن الجهة الممولة دفعت الجهة الممولة إلى أن تبدأ في بلجيكا في سنة 2003 حملة مقاطعة لبضائع المستعمرات الإسرائيلية، وهذا الأمر عكس ما هو شائع من أن الأطراف المحلية تابعة للممولين الدوليين.

وعلى الرغم من ذلك، فإنه لا يمكن تغافل تأثير التمويل في أطراف فلسطينية كما يُظهر البحث، ولكن ليس من خلال نظرية (التبعية) التي لا ترى ذاتية الفاعلين المختلفين. ومع أن الضغط الصهيوني تمكن من إيقاف الحملة في بلجيكا،⁷⁰ إلا أن حملات مقاطعة مختلفة تتابعت لاحقاً (وتحديداً منذ سنة 2006).

بدأت المقاطعة الفلسطينية كذلك تتفاعل مع المبادرات خارج فلسطين، وقد استعادت أطراف فلسطينية متعددة من أوساط الاحتجاج العالمية. وكان مؤتمر الأمم المتحدة في دوربان في جنوب أفريقيا لمناهضة العنصرية، والمؤتمر الموازي للمنظمات المدنية، في أغسطس وسبتمبر 2001، مهمين لتشكيل حركة مقاطعة إسرائيل.

ففي العملية التحضيرية لمؤتمر دوربان، وما عكسته من صدى عالمي بسبب الخلافات على موضوعي العبودية وفلسطين، تشجعت أطراف فلسطينية متنوعة على استعارة تجربة جنوب أفريقيا وتطبيقها على الاستعمار الإسرائيلي الذي عدته نظام فصل عنصري أبارتهايد. فقد كتب محمود درويش مثلاً، في مايو 2001، مقالة في ذكرى النكبة قال فيها: "إن الانتفاضة، أمس واليوم وغداً، هي التعبير الطبيعي والمشروع عن مقاومة العبودية المتمثلة في احتلال يتسم بأشكال التمييز العنصري"⁷¹. ونشرت "بديل" في موقعها وفي مجلاتها مقالات منذ بداية سنة 2001 تتحدث فيها عن التشابه بين تجربة جنوب أفريقيا ونظام الفصل العنصري الإسرائيلي، وأعدت نشر مقالة درويش.

في اجتماع تحضيرية لمؤتمر دوربان للمنظمات المدنية عُقد في القاهرة (بمبادرة من معهد القاهرة لحقوق الإنسان) في يوليو 2001، جرى الاتفاق بين أطراف فلسطينية وجنوب أفريقية على أن يقوم وفد جنوب أفريقيا المنظم لمؤتمر المنظمات غير الحكومية في دوربان بزيارة ميدانية لفلسطين، وفي تلك الزيارة اقتنع هذا الوفد بالمماهة بين الأبارتهايد وإسرائيل.⁷²

وبمشاركة الوفد الفلسطيني الذي توجه إلى جنوب أفريقيا ضمن المظلة العربية، خرج مؤتمر المنظمات غير الحكومية، الذي شارك فيه نحو ثلاثة آلاف منظمة وحركة عالمية، بإعلان التماهي بين إسرائيل ونظام الفصل العنصري. ودعا الإعلان إلى مقاطعة إسرائيل عالمياً، وإنشاء حركة عالمية لمقاطعتها.⁷³

⁷¹ Mahmoud Darwish, Our Catastrophe was the Creation of Israel, The Guardian (London), 14 May 2001,

<https://cutt.us/avuL8>

⁷² Israel brands Palestinian-led Boycott Movement a Strategic Threat, The Guardian, 3 June, 2015, <https://cutt.us/veCtF>

⁷³ لمزيد من التفاصيل انظر:

رانيا جهاد القاسم، استراتيجية النضال العابر للقوميات في التحرر الوطني: الحركة الفلسطينية للمقاطعة، وسحب الاستثمارات، وفرض العقوبات نموذجاً، مرجع سابق.

شكلت هذه الدينامية والإعلان الذي رافقها شرارة مهمة في طريق تأسيس حركة المقاطعة، ففي سنة 2002 نُشر عالمياً أول إعلان مقاطعة فلسطيني موقَّع من عدد من المنظمات الفلسطينية، بعد ذلك تأسست حملة المقاطعة الفلسطينية الأكاديمية والثقافية (PACBI) في سنة 2003، وجرى الإعلان بشأنها في سنة 2004، وهذه الحملة تمثل رافعة أساسية في تشكل حركة المقاطعة لما لها من أهمية استراتيجية كون النشاط الأكاديمي تستخدمه إسرائيل لتبويض صورة الاحتلال، والمقاطعة الأكاديمية جزء مهم من عمل الحركة كما سنوليها اهتماماً أكبر، وأخيراً خرج في سنة 2005 إعلان المقاطعة التأسيسي. وارتكزت هذه الإعلانات كلها على تجربة جنوب أفريقيا، جنباً إلى جنب مع مرتكزات أخرى، وقد تابعت أطراف جنوب أفريقية عملية الدفع في اتجاه المقاطعة وتشكيل حركة عالمية حتى خروج إعلان المقاطعة وتشكل الحركة ولا تزال تتابعه حتى الآن، وهذا موضوع بحث آخر.

وفي وقت كانت القيادة الفلسطينية خلال مرحلة أوسلو تولي العلاقات مع الدول حول العالم اهتمامها الأساسي، كانت تجربة نشوء حركة المقاطعة تقترح أهمية موازية لبناء صلات بالحركات الشعبية القاعدية حول العالم. وفي هذا الشأن، كانت مننديات مناهضة للحرب على العراق في المنتدى الاجتماعي الدولي، ومننديات المجتمع المدني في لجنة الأمم المتحدة للتضامن مع الشعب الفلسطيني، واحدة من الفضاءات المهمة للحركات العالمية آنذاك، وقد سعت أطراف فلسطينية متنوعة، مثل حملة "أوقفوا الجدار"، ومنظمة بديل (ثم مبادرة الدفاع عن الأراضي المحتلة فلسطين والجزلان)، ونشاط أكاديميين مثل الراحل جابي برامكي، نائب رئيس جامعة بير زيت حينها، أو ليزا تراكي وعمر البرغوثي (من خلال العلاقة بأكاديميين بريطانيين مثلاً) وغيرهم من الأطراف الفلسطينية، ليجري تبني قيم المقاطعة قبل أن تتأسس حركة المقاطعة BDS وبعدها⁷⁴. وعليه، يبدو أن التفاعل بين الوطني والعاير للحدود ظل قوياً طوال الوقت من جهة، وأن تبني حركات تضامن مع فلسطين من جهة أخرى، مثل لجان التنسيق الأوروبية بشأن فلسطين (ECCP) لقيم المقاطعة، صاحبه عملية ضغط طويلة من جانب أطراف فلسطينية منذ بداية الألفية.

ومثلما شكلت هذه السياقات متخفية الحدود أملاً بحدوث حركة مقاطعة عالمية، فإن هذه السياقات زادت في قوة أطراف فلسطينية مرتبطة بهذه السياقات. وثمة منظمات مدنية فلسطينية تملك علاقات قوية بامتدادات شعبية قاعدية أو أكاديمية نقدية حول العالم، وخصوصاً في الشمال وفي بعض الجنوب، الأمر الذي سيوفر لها إمكان المبادرة في هذا الاتجاه.

خلاصة

تعتبر المطالبات حول المقاطعة الشاملة لإسرائيل وسحب الاستثمارات وفرض العقوبات ظاهرة حالية داخل المجتمع المدني في أوروبا وأمريكا الشمالية وآسيا. ومع ذلك، فقد تم استخدام هذه الأساليب في الشرق الأوسط لمواجهة الاحتلال البريطاني أولاً، ومنذ إنشاء دولة "إسرائيل" في عام 1948. وعند تحديد توقيت حركة المقاطعة الحالية في الغرب وآسيا،

⁷⁴ عمرو سعد الدين، السياق الفلسطيني لنشوء حركة مقاطعة إسرائيل BDS، مرجع سابق.

من المهم الأخذ في الاعتبار المنظور التاريخي المتغير والعناصر المميزة التي تضع المطالب والأفعال الحالية في سياق التضامن الدولي وخطاب الرواية المضادة للاستعمار، مع الأخذ في الاعتبار السياق الدولي الذي يُعطي فرصاً للحركات الاجتماعية مثل حركة المقاطعة أن تتقدم مؤثرةً في القاعدة الشعبية العريضة.

في عام 1948 التاريخ المتنازع عليه، تاريخ النكبة عند العرب، أطلقت جامعة الدول العربية دعوة لمقاطعة دولة إسرائيل. وهناك ثلاث سمات رئيسية مترابطة ميزت مقاطعة الجامعة العربية:

- 1- استمرار افتقارها إلى القدرة على التعريف بشكلٍ فعال بالجانب الإنساني (وحقوق الإنسان) من محنة الفلسطينيين بعد عام 1948، وخاصةً في بلدان الغرب الصناعي.
- 2- بُعدها الحكومي، وليس الشعبي، الذي حجب كيف يمكن أن تكون المقاطعة شكلاً من أشكال النضال السلمي للاستعمار.

3- جانبها الإقليمي وليس الدولي.

يشير عام 1948 إلى نقطة انطلاق مهمة لتوضيح هذه السمات، من خلال إعادة النظر في التاريخ المتنازع عليه لإسرائيل وفلسطين، فضلاً عن الطبيعة المتنازع عليها لحملات المقاطعة الدولية هل تعتبر معاداة للسامية أم معاداة لاستعمار عنصري إحلالي.

في المصطلحات الإسرائيلية، يُشار إلى أحداث عام 1948، التي أدت إلى إنشاء دولة إسرائيل، على أنها حرب الاستقلال عن البريطانيين (بالعبرية Azma'ut) أو التحرر من الشتات (Shihrur). وكما يُلاحظ إيلان بابيه، لا يقدم أي من هذين المصطلحين أي إشارة صريحة إلى السكان العرب الأصليين.

هذا التاريخ المرجعي وثيق الصلة بالنظر في كيف أن الوجه الإنساني للفلسطينيين هو محور حركة المقاطعة اليوم. حيث يُعتبر عام 1948 عام النكبة لأنه تمثل في فقدان نصف السكان العرب لمنازلهم وممتلكاتهم، وأصبحوا لاجئين عديمي الجنسية خارج وداخل فلسطين التاريخية⁷⁵.

كتب كلا من أبو لغد وسعدي عن النكبة:

"إنها النقطة الأساسية لما يمكن تسميته بالزمن الفلسطيني. النكبة نقطة مرجعية لأحداث أخرى ماضية ومستقبلية... أصبحت النكبة حدثاً رئيسياً في التقويم الفلسطيني الأساس للتاريخ الشخصي وتصنيف الأجيال"⁷⁶.

من السمات الإضافية للرواية الفلسطينية أن دولة إسرائيل كانت في جذورها الأوروبية، وفي محوها للسكان العرب الأصليين، نتاجاً لاستعمار المستوطنين الأوربيين وتطرفهم. وهكذا، فإن الصهيونية هي أيديولوجية دعمت ممارسات إسرائيل كدولة استعمارية وليست مرادفة لليهودية⁷⁷.

⁷⁵ إيلان بابيه، عشر خرافات عن إسرائيل، ترجمة سارة ح. عبد الحليم، (بيروت: مؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، 2018).

⁷⁶ Sa'di, A., & AbuLughod, L. Nakba: Palestine, 1948, and the Claims of Memory, (Columbia University Press, 2007).

⁷⁷ إيلان بابيه، عشر خرافات عن إسرائيل، مرجع سابق.

بعبارةٍ أخرى، لا توجد معادلة بين أن تكون يهوديًا -هوية دينية أو ثقافية- وكونك صهيونيًا - رؤية سياسية ترى أن الدولة "اليهودية" حصرًا هي العلاج الوحيد الفعال لمعاداة السامية المتصورة العالمية.

كانت هذه الملاحظات التاريخية مهمة قبل الحديث عن الحركة محل الدراسة من حيث هيكلها وآلياتها ونشاطها وتحدياتها، فتاريخ اليهود في بلدانهم الأصلية قبل أن يأتوا إلى أرض فلسطين مليء بالسواد والعنصرية ضدهم من الأوروبيين مما يجعل بعض الأوروبيين يلصقون بالحركة تهمة معاداة السامية، ويمكن أن يفسر تاريخ الصهيونية الأسئلة التي تدور في وقتنا الحالي عن سبب الدعم الأوروبي للكيان الصهيوني، أو سبب دعم بعض اليهود- ضد الصهيونية -الحركة، ولكن ليس محلها هنا.

عودة إلى المقاطعة وآليات المقاومة، وقد رأينا في هذا الصدد، أن هناك خلفية فلسطينية محددة لحركة BDS حيث تم استخدام أداة المقاطعة طوال الكفاح الفلسطيني ونشاط التضامن عبر الحدود، كما تم تطويره خلال الانتفاضة الثانية، وخلق مشاركين متضامنين عبر الحدود مع نشاط BDS. ومع ذلك، تختلف حركة BDS الحالية بشكل كبير عن التكتيكات والاستراتيجيات الأخرى مثل المقاومة المسلحة والمقاطعة العربية القائمة على الدولة. تختلف الأولى من الناحية التكتيكية حيث لم يتم حمل أي سلاح كجزء من حركة المقاطعة، والأخيرة وهي مبادرة قائمة على الدولة تختلف عن الحركة الحالية التي تنظمها جهات فاعلة غير حكومية وتوجه إلى المؤسسات والشركات والأفراد، وإجابة عن السؤال الذي كان يُطرح دائمًا: كيف يمكن الرد على إسرائيل عالميًا، وما هي الوسائل؟ إن فكرة حركة BDS هي جزء من الرد الاستراتيجي، وجزء من المقاومة الشعبية والمدنية العالمية وهي تتعاقد مع الأشكال الأخرى حيث رأينا كيف ارتبطت بالعمل الشعبي على مر تاريخه، وكيف تخلق الفرص السياسية لغيرها من الجماعات في الشتات ودول الشمال والجنوب أن تتوحد على رؤية وأهداف واضحة ضد الاحتلال، وكذلك تأثرت بالفرص التي شكّلتها الحركات الأخرى المدنية منها والعسكرية، فنشأة الحركة في عام 2005 سبقه كفاح مسلح من الفصائل الفلسطينية فترة الانتفاضة الثانية، وإعلان الاحتلال تفكيك مستوطنات في الضفة وغزة في فبراير 2005 في قمة شرم الشيخ، أي قبل إعلان بيان الحركة الأول فقط بشهور وهو كذلك انتصار للمقاومة المدنية والمسلحة.

الفصل الثالث: نشاط حركة مقاطعة إسرائيل وسحب الاستثمارات وفرض العقوبات (BDS)

مقدمة:

المبحث الأول: السياق الحالي للحركة: تراجع فلسطيني وعربي شعبي، وتطبيع رسمي.

المبحث الثاني: التعريف بالحركة وأهدافها.

المبحث الثالث: هيكل وعمليات حركة المقاطعة.

المبحث الرابع: تقييم خطابات الحركة.

خلاصة.

مقدمة:

يتم تنظيم حركة المقاطعة BDS بطرق متنوعة عبر الحدود، وهي مرنة على نطاق واسع من حيث هيكلها وعملياتها. كما ستبين فصول دراسة الحالة، وكذلك فإن المجموعات والمنظمات المشاركة في حركة المقاطعة BDS هي التي تحدد إلى حد كبير حملاتهم الخاصة - الهدف، والتكتيكات (المقاطعة، وسحب الاستثمارات)، والتكتيكات الفرعية مثل المظاهرات، والاعتصامات، وما إلى ذلك. يشارك الأفراد والجماعات والمنظمات في الغالب في حركة المقاطعة BDS كما يحلو لهم. لا توجد عضوية رسمية أو شروط للمشاركة في الحركة. الشروط الأساسية للدعم هي الموافقة على المطالب الثلاثة في النداء الفلسطيني للمقاطعة عام 2005.

يركز هذا الفصل على حساسية السياق ودور التنظيم المحلي في الحركة. في هذا القسم، أُكِّد أن هذان عنصران حاسمان في هيكل الحركة ويجعلان من الممكن عبور الحدود: الهيكل اللامركزي للحركة والعمليات التنظيمية المرنة، والتي تمثل طريقة جديدة ومختلفة لتحدي إسرائيل في النضال الفلسطيني.

في هذا الفصل، أتناول أولاً موضوع السياق العربي الشعبي والرسمي الذي هو في تراجع كبير من حيث الاهتمام والدعم لحركات المقاومة أو العداء والمقاطعة أو الضغط على الكيان الصهيوني، تجليات هذا التراجع وأسبابه، ثم بعد السياق، نتناول بالتحليل هيكل حركة، أهدافها وأدواتها وخطابها التأييري المضاد لهيمنة الكيان الصهيوني، نسأل متى تكون حركة المقاومة يطلق عليها مقاومة حضارية، ما مدى أخلاقية مساعيها، وما التأثير المرجو والمنشود في إطار كل هذه الضغوط؟

المبحث الأول: السياق الحالي للحركة: تراجع فلسطيني وعربي شعبي، وتطبيع رسمي

السياق الحالي للحركة يأتي في ظل تراجع الموقف الرسمي الفلسطيني والعربي خطوات كثيرة للخلف؛ وهو ما لم يتغير كثيراً عن السياق الذي نشأت فيه الحركة بدايةً، فالموقف الفلسطيني تراجع بالتدرج من تحرير كامل التراب عند انطلاق الثورة وصولاً إلى "دولتين لشعبيين"، وإلغاء حق العودة وإهمال كامل لفلسطيني 1948 الذين أصبحوا كأنهم ليسوا من الشعب الفلسطيني، بحسب الأغلبية من القيادات الفلسطينية.

الخطاب السياسي اليومي، والحديث يقتصر على الشعب الفلسطيني في أراضي 1967، وأحياناً يتم ذكر الشتات. هذا التراجع الفلسطيني والعربي الرسمي، قابلته نجاحات حققتها إسرائيل، ويمكن عرضها على النحو التالي:

1- عزل القضية الفلسطينية عن عمقها العربي، وأصبحت قضية فلسطين قضية الفلسطينيين لا قضية العرب، وهذه مشكلة كبيرة جداً على المستوى الاستراتيجي.

2- تحويل جزء من الطبقة السياسية الفلسطينية من مختلف الفصائل ومن المستقلين، إلى شريك في إدارة الأزمة والتغطية على استمرار مخطط الاستعمار الاستيطاني والاحتلال الصهيوني للأرض الفلسطينية، في مقابل مصالح ضيقة.

3- تحويل قضية فلسطين إلى مجرد قضية احتلال لأراضي 1967، والابتعاد عن قضية اللاجئين.

4- كسر طوق المقاطعة العربية ومقاطعة دول عدم الانحياز وبداية التطبيع مع إسرائيل في المنطقة العربية، والعالم الجنوبي Global South، وخصوصاً من البوابة الفلسطينية، أي أن هذا التطبيع لم يكن ليحدث لولا التطبيع الفلسطيني الرسمي والاقتصادي والأمني والمدني في الأساس.

5- تمكنت إسرائيل من استغلال هيمنة القطب الأوربي الأمريكي على العالم عبر مشاركتها فيما يُسمى الحرب على الإرهاب بعد 11 سبتمبر 2001، وذلك بهدف كسب نفوذ غير مسبوق في الاتحاد الأوروبي وفي الأمم المتحدة، وأيضاً نجاح إسرائيل في تسويق نفسها على أنها رائدة في مكافحة "الإرهاب" وحرب المدن وتطوير أسلحة ومنظومات عسكرية وأمنية مضادة للإرهاب و"مجرية في الميدان".

6- إضعاف أشكال التضامن كلها مع حقوق الشعب الفلسطيني تحت شعار الفاعل: "لا تكونوا فلسطينيين أكثر من الفلسطينيين أنفسهم"، وهذا الشعار يتردد في الأمم المتحدة وفي اليونيسكو وفي كل موقع من المواقع الدولية ومؤسسات حقوق الإنسان. فعندما يأتي فرنسي أو بريطاني أو جنوبي إفريقي ويطالب بأمر أعلى من ذلك الذي يطالب به ممثل فلسطين أو أي مسؤول فلسطيني رفيع الشأن، يرد الصهيونيون وحلفاؤهم بالقول: "لا تكونوا فلسطينيين أكثر من الفلسطينيين أنفسهم"⁷⁸.

أولاً: فلسطين بعد التطبيع:

تتفق نظرية نتتياهو وعقيدته للتطبيع مع الأنظمة العربية، مع الوضع الداخلي الإسرائيلي والمرحلة التي يمر بها الصراع الفلسطيني - الصهيوني، والمتمثل في: أولاً، انهيار العملية السياسية وهيمنة اليمين القومي والديني الإسرائيلي على الحكم والسياسة كوزن سياسي وأيديولوجيا مهيمنة، إذ يُشكل اليمين اليوم، بشقّيه الديني والقومي في إسرائيل، أكثر من ثلثي أعضاء الكنيست؛ ثانياً، توغل استيطاني يجعل من الانسحاب إلى حدود سنة 1967 كأنه حديث في العدم، وخصوصاً بعد نقل السفارة الإسرائيلية إلى القدس و"توحيدها" استعمارياً بغطاء أمريكي؛ ثالثاً، انقسام فلسطيني وصراع داخلي سياسي واجتماعي وأيديولوجي، تمثله سلطتا حكم ذاتي في الضفة الغربية وقطاع غزة، وغياب استراتيجية موحدة؛ رابعاً، واقع جغرافي مقطّع فلسطينياً في الضفة، وحواجز وسلطة فلسطينية متعايشة مع وضع الاحتلال، وحصار يُضاف إليه انعدام للأفق السياسي في غزة، فضلاً عن حالة من التماهي وصلت إلى حد مشاركة حزب فلسطيني في أراضي 48 في الحكومة الإسرائيلية⁷⁹. أضف إلى ذلك كله، حديثاً إسرائيلياً كان عنوانه "صفقة القرن" ويقوم على عدم الانسحاب ورفض إخلاء أي مستعمرة في الضفة الغربية. ومع أن الصفقة قد فشلت، إلّا إنها كانت فرصة في الوقت ذاته، لانكشاف ماذا يعني حل الصراع بالنسبة إلى نتتياهو واليمين الإسرائيلي، ولا سيما أن نتتياهو كان شريكاً في صوغها ويقول باحثون أنه في الحقيقة، لا يمكن تسميتها صفقة بقدر ما هي وثيقة استسلام للواقع القائم في فلسطين اليوم، جغرافياً وسياسياً واستعمارياً⁸⁰.

⁷⁸ عمر البرغوثي، حركة مقاطعة إسرائيل (BDS)، مجلة الدراسات الفلسطينية، العدد 99، صيف 2014، ص 20-28، <https://cutt.us/P0AKx>

⁷⁹ ماهر الشريف، قطار التطبيع الرسمي العربي الإسرائيلي يتسارع: البحرين، بعد المغرب، توقّع اتفاقاً أمنياً مع إسرائيل، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 7 فبراير 2022، <https://cutt.us/WLrod>

⁸⁰ رازي نابلسي، عن الضم الإسرائيلي: على ماذا الخلاف؟، موقع حبر، 19 يوليو 2020، <https://cutt.us/4hIOB>

في هذا الواقع السياسي، يغدو التطبيع فرصة ذهبية بالنسبة إلى رؤية نتتياهو، وإلى التوقيت الذي هو، على ما يبدو، ملائم للإجهاد كلياً على القضية والحركة الوطنية الفلسطينية، ولقتل الأمل بالانتصار على الصهيونية، وذلك عبر تجفيف جميع منابع القوة الفلسطينية، بهدف القضاء على القومية الفلسطينية كلياً. إحكام الحصار على المقاومة المحاصرة من الأساس في غزة، وهنا تحديداً، يغدو البعد العربي الذي هو آخر القلاع، أمام أمرين أساسيين: الأول، حقيقة أن هذا البعد بات تقريباً الوحيد الذي تستطيع من خلاله فلسطين تقديم ورقة قوة، إما من خلال مفاوضات، وإما بهدف الضغط للوصول أصلاً إلى المفاوضات؛ ثانياً، حقيقة أن هذا البعد والمحيط باتا عملياً عامل ضغط إضافي على فلسطين أمام الواقع المرسوم بقوة السلاح والعسكر والاقتصاد والتكنولوجيا، الأمر الذي يريح إسرائيل من هموم فلسطين والفلسطينيين. وبذلك تستطيع إسرائيل الاعتقاد أنه لم يعد أمام الفلسطينيين إلا القبول بالأمر الواقع: تكريس الحكم الذاتي الثقافي؛ العيش على هامش الدولة اليهودية؛ قبول الوضع القائم. أما لإسرائيل فيعني ذلك: استمرار التوغل الاستيطاني؛ والسيطرة الاقتصادية؛ والهيمنة اليهودية؛ وتكريس وضعية الأبارتهايد. وبكلمات أخرى: تحوّل فلسطين كقضية، إلى جزيرة في محيط "الدولة اليهودية"، فتغدو "صفقة القرن" تحصيل حاصل، سواء وافق عليها الفلسطيني أم لم يوافق.

علاوة على ما سبق، فإن ما يؤكد تمايز "التطبيع" الإماراتي البحريني - الإسرائيلي باعتباره مرحلة في الصراع على فلسطين، هو تراجع مكانة الأردن التي كانت هي الأخرى مرحلة في مراحل الصراع التي كان عنوانها في السياسة الخارجية الإسرائيلية، احتواء منظمة التحرير ودول الجوار لمصلحة دول الخليج⁸¹.

ثانياً: "اتفاقيات أبراهام" وموقع إسرائيل

يتميز التطبيع العربي الأخير مع إسرائيل، بما يلي: أولاً، صراع على الهيمنة الإقليمية تشكل إيران طرفاً رئيسياً فيه؛ ثانياً، انسحاب متدرج للولايات المتحدة من المنطقة وتجنبها الدخول في صراع عسكري جديد في الشرق الأوسط؛ ثالثاً، حالة عربية منهاره تعيش ثورات وثورات مضادة وحروباً أهلية وفوضى؛ رابعاً، حالة فلسطينية منهاره ترافقها عنجهية دينية وقومية في إسرائيل التي تتصرف كقوة إقليمية. وفي هذا الطرف، يغدو التطبيع الإسرائيلي البحريني - الإماراتي، أقرب إلى تحالف سياسي عسكري، منه إلى عملية تطبيع تقليدية كما في "وادي عربة" مع الأردن، أو حتى "كامب ديفيد" مع مصر. وهذا الأمر أكدته تصريحات نتتياهو، التي تحدث فيها عن "المصالح المشتركة والخطر المشترك والتعاون الاستراتيجي"، كما يؤكد العديد من الأبحاث السياسية التي نشرتها مراكز أبحاث تدعو إلى الارتكاز إلى ما يسمى "الخطر الإيراني" كأساس لبناء تعاون استراتيجي مع ما يُسمى "المحور السنّي المعتدل"⁸².

الهدف الأخير لنتتياهو إذن هو الشعوب العربية كما قال في تدوينة له على تويتر، وهي استراتيجية امبريالية معروفه، فقد كانت الأمركة كما يقول د. عبد الوهاب المسيري ونشر النموذج الغربي بقوة السلاح أو بالقوة الناعمة هي سلاح أمريكا في بناء "شرق أوسط جديد" في عصر العولمة، والآن حليفها في الشرق الأوسط يقوم بهذه المهمة والحكام أولاً ثم الشعوب.

⁸¹ للتوسع في هذا الموضوع انظر: تقرير 'مدار' الاستراتيجي 2021: المشهد الإسرائيلي 2020، في موقع مدار، 8 أبريل 2021، <https://cutt.us/8RBub>

⁸² المرجع السابق.

ثالثاً: لسؤال المزدوج الذي طرحناه عن جديد الهجمة والمقاومة

ما الجديد في هذه الهجمة منذ اتفاقيات ابرهام للتطبيع؟ وما الجديد في أنماط المقاومة؟ وما درجة فعاليتها؟ دلالة «التطبيع»، التي تعني الاتصال أو المشاركة بين فلسطينيين وعرب وتفاعلهم مع إسرائيليين، بهدف الوصول إلى علاقة طبيعية خالية من الاختلاف ودعم الخطاب والرواية الصهيونيين، لا تكفي لوصف الانجرار العربي الرسمي غير المسبوق نحو التطبيع مع إسرائيل، وهو السياق ذو الصلة هنا، والتسابق نحو إرسال مسؤولين عرب لزيارة إسرائيل أو لقاء مسؤوليها في السر أو العلن بالعواصم العربية والغربية، وتبني بعض المثقفين والصحافيين والكتاب العرب الخطاب الصهيوني وبثه في وسائل الإعلام، وتجاوزت الأنظمة الرسمية «مبادرة السلام العربية» على علها بتعليق أي مبادرة لتطبيع العلاقات العربية مع إسرائيل حتى إنشاء دولة فلسطينية. فضلا عن ذلك، لا تكفي دلالة «التطبيع» لوصف حالة نفي أي مشكلة مع الإسرائيليين، والتخلي عن الشعب الفلسطيني والمقدسات وأرض الرسالات لصالح منطق برجماتي ودولة استعمارية تشعر نفسها كجزيرة منعزلة ثقافياً ولغوياً ظهرت من العدم منذ 74 عامًا، فأصبحت مشكلة الأمن والشرعية هي مشكلتها الأساس، وتصنف الجميع بناءً على ما يتصل بذلك.

ينبغي الوعي أن السلوك الذي تتبعه بعض الأنظمة العربية بالانفتاح على إسرائيل، لا يؤدي إلى جعل العلاقات طبيعية فحسب، بل بهذا السلوك، فإن هذه الأنظمة تقوم بمحو تاريخ شعب كامل وإلغاء قضيته، ومحو حق الفلسطينيين بالوجود على أرضهم والبقاء فيها وتُعادي مبادئ وقيم إنسانية عالمية، فالتطبيع في كل الساحات وعلى كل الأصعدة الثقافية والإعلامية. ومن هنا تتبدى أهمية تفعيل الفاعلين والأدوات المختلفة لاستمرار المقاومة.

فهل يوئد الأمل الفلسطيني المقاومة؟ أم إن انعدام الأمل هو ما يوئد المقاومة؟ وهو نقاش تنقسم استناداً إليه الخريطة السياسية الإسرائيلية برمّتها، منذ بدايات الصهيونية حتى يومنا هذا، ويُعتبر الأمر الذي يميز بين "اليمن" و"اليسار" في إسرائيل، إذ بينما يرى اليمين أن الأمل لدى الفلسطينيين بهزيمة الصهيونية هو ما يدفعهم إلى مقاومتها، فإن بقايا ما يُسمى "اليسار" الصهيوني يرى أن انعدام هذا الأمل يحشر الفلسطينيين ويدفعهم إلى المقاومة⁸³.

العمل الجماعي - كما تعرّفه دراسات العمل الجماعي - يأتي من الفرص والقيود على سواء، فانسداد الأفق قد يدفع حركات للتشكل وحركات خاملة أن تحيا كما رأينا قرى فلسطينية في الهبة الأخيرة 2021 تخرج ضد الاحتلال لأول مرة في تاريخها، وهناك قرى في الضفة تحاول منع بناء المستوطنات بكل من فيها وتدفع ثمنها من دماء أبنائها، بعد أن استيقظ الشعب في يوم ما فوجد عدد المستوطنات في الضفة تضاعف أضعاف ما كان عليه في بداية الألفية.

المبحث الثاني: التعريف بالحركة وأهدافها

⁸³ رازي نابلسي، "التطبيع": تأييد وجود إسرائيل، مجلة الدراسات الفلسطينية، العدد 130، ربيع 2022، <https://cutt.us/H9sFJ>

تُعدّ حركة مقاطعة إسرائيل مبادرة ذات أهمية بالغة، إذ تمكنت حتى الآن من أن توجد عالمياً في عدة بلاد، وفي جميع القارات، وتجمع قيماً إنسانية وفلسطينية، كما أنها حركة تضع إسرائيل في موقع الدفاع دائماً عن شرعيتها، وتتحدى الرواية الصهيونية غير أن جانب القيم يرتبط أيضاً بأسئلة السياسة، وبأي تحالفات ومسارات تتخذها الحركة. أصدرت حركة مقاطعة إسرائيل إعلانها الأول في سنة 2005، الذي دعا مواطني العالم إلى مقاطعة إسرائيل والضغط على الحكومات لفرض عقوبات عليها حتى إقرار الحقوق الفلسطينية التي حددتها بإنهاء الاحتلال وحق العودة والمساواة.

وانطلاقاً من محاكاتها نموذج مناهضة الأبارتهايد في جنوب أفريقيا في إعلانها والعديد من أدبياتها، تسعى الحركة بنشاط عابر للحدود نحو محاصرة إسرائيل دولياً للالتزام بالحقوق الفلسطينية. فما معنى أن تكون الحركة "فلسطينية المنشأ عالمية الامتداد" كما تصف نفسها؟ وكيف تختلف عن حركات المقاومة المدنية الداخلية؟

أولاً: طبيعة حركة مقاطعة إسرائيل

استرشدت حركة المقاطعة بالانتصارات التي حققتها تجربة المقاطعة في دولة جنوب أفريقيا، وتعمل الحركة على تحدى الإطار الدولي الاستثنائي الذي تحظى به إسرائيل من خلال استناد الحركة الى الأعراف الدولية وتحويل النضال الفلسطيني إلى نضال عابر للقوميات⁸⁴.

وظهرت حركات التحرر العابرة للقوميات بشكل واضح في بداية الخمسينيات من القرن الماضي بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية، وخلال فترة الحرب الباردة. وتشكلت هذه الحركات عبر كافة القارات ومن خلال شبكات تضم آلاف من المجموعات والمؤسسات، بما فيها الكنائس والنقابات والاتحادات الطلابية ومنظمات حقوق الإنسان وغيرها. تعمل هذه الحركات على حشد التأييد والمناصرة للقضايا الحقوقية بالاستناد الى القانون والعرف الدولي وللتأثير على صانعي القرار. كان لهذه الحركات دور كبير في الإنجازات التي حققتها حركة المقاطعة في جنوب أفريقيا وحركة الحقوق المدنية الأمريكية. وعلى غرار تجربة القضاء على نظام الأبارتهايد في دولة جنوب أفريقيا، نقلت حركة المقاطعة القضية الفلسطينية إلى ساحة النضال العابر للقوميات، متسلحة بشكل أساسي بمبادئ مناهضة حرمان الفلسطينيين؛ السكان الأصليين للبلاد، من حقوقهم.

باعتقادها على النضال العابر للقوميات تهدف حركة المقاطعة إلى تدويل النضال ونقل النزاع من حدوده المحلية الى الحدود الدولية بالاستناد إلى القوانين والأعراف الدولية، وبمساندة شبكة من المنظمات الحقوقية وحركات التحرر الاجتماعي والمؤسسات الأكاديمية، وهو النموذج الذي استندت إليه حركات التحرر في الكثير من النزاعات حول العالم مثل حركات التحرر في جنوب أفريقيا والحركات الاجتماعية والمدنية في أوروبا وأمريكا⁸⁵.

⁸⁴ Håkan Thörn, Solidarity Across Borders: The Transnational AntiApartheid Movement. Voluntas 17, pp285–301, 2006,

<https://doi.org/10.1007/s1126600690233>

⁸⁵ رانيا جهاد القاسم، استراتيجية النضال العابر للقوميات في التحرر الوطني: الحركة الفلسطينية للمقاطعة، وسحب الاستثمارات، وفرض العقوبات نموذجاً، مرجع سابق، ص28.

وتستند حركة المقاطعة إلى منهج الحقوق Rights-Based Approach وهو ذات النهج الذي أفضى إلى القضاء على حقبة الأبارتهايد في دولة جنوب أفريقيا، وأسفر عن إطلاق سراح الزعيم نيلسون مانديلا، وتكفل بإجراء أول انتخابات ديمقراطية شارك فيها الأفارقة السود في تقرير مصيرهم وانتخاب قيادتهم.

ثانيا: أهداف حركة مقاطعة إسرائيل

ماذا تعني المقاطعة وسحب الاستثمارات وفرض العقوبات؟

مقاطعة (Boycott) تشمل وقف التعامل مع إسرائيل، ومقاطعة الشركات الإسرائيلية وكذلك الدولية المتواطئة في انتهاكاتها لحقوق الفلسطينيين، ومقاطعة المؤسسات والنشاطات الرياضية والثقافية والأكاديمية الإسرائيلية.

سحب الاستثمارات (Divestment) تسعى حملات سحب الاستثمارات إلى الضغط على المستثمرين والمتعاقدين مع الشركات الإسرائيلية والدولية المتورطة في جرائم دولة الاحتلال والأبارتهايد بسحب استثماراتهم من و/أو إنهاء تعاقدهم مع هذه الشركات. وقد يكون المستثمرون أو المتعاقدون أفراداً، مؤسسات، صناديق سيادية، صناديق تقاعد، كنائس، بنوك، مجالس محلية، جهات خاصة، جمعيات خيرية، أو جامعات.

فرض العقوبات (Sanctions) المقصود بالعقوبات الإجراءات العقابية التي تتخذها الحكومات والمؤسسات الرسمية والأممية ضد دولة أو جهة تنتهك حقوق الإنسان، بهدف إجبارها على وقف هذه الانتهاكات. تشمل العقوبات العسكرية والاقتصادية والثقافية وغيرها، على سبيل المثال عن طريق وقف التعاون العسكري، أو وقف اتفاقيات التجارة الحرة، أو طرد إسرائيل من المحافل الدولية مثل الأمم المتحدة أو الاتحاد البرلماني الدولي أو الفيغا أو غيرها.

المطالب الأساسية

في عام 2005، شارك أكثر من 170 كياناً من اتحادات شعبية ونقابات وأحزاب ولجان شعبية ومؤسسات أهلية فلسطينية في إطلاق النداء التاريخي لمقاطعة إسرائيل، الذي ناشد أحرار وشعوب العالم بمقاطعة إسرائيل وسحب الاستثمارات منها وفرض العقوبات عليها لتحقيق المطالب التالية:

• إنهاء احتلالها واستعمارها لكافة الأراضي الفلسطينية والعربية وتفكيك الجدار.

في عام 1967، قامت إسرائيل باحتلال ما تبقى من فلسطين التاريخية بعد نكبة العام 1948: الضفة الغربية، بما فيها القدس الشرقية، وقطاع غزة، ومرتفعات الجولان السوري. منذ ذلك الحين، تتبنى دولة الاحتلال سياسة ممنهجة تهدف إلى التطهير العرقي التدريجي للفلسطينيين من خلال مصادرة الأرض وعزل التجمعات السكانية في معازل عرقية محاطة بجواجز ومستعمرات وأبراج مراقبة وجدار الضم والفصل العنصري. كما فرضت دولة الاحتلال حصاراً إبدياً على قطاع غزة، محولة إياه إلى أكبر سجن مفتوح في العالم، وتقوم بشكل شبه منتظم بشن اعتداءات غاشمة، أُدينت عالمياً بشكل واسع، بالذات لأنها اشتملت على جرائم حرب وجرائم ضد الإنسانية ولاست حد الإبادة الجماعية.

• إنهاء كافة أشكال الفصل العنصري ضد الفلسطينيين واعترافها بالحق الأساسي بالمساواة الكاملة لفلسطينيين

أراضي العام 48

يشكل الفلسطينيون الذين صمدوا في وطنهم رغم التطهير العرقي خلال نكبة عام 1948 ما نسبته 20% مما يُسمى "مواطني دولة إسرائيل". وهم يعانون من نظام فصلٍ عنصريٍ ممأسس (أبارتهايد) يفرضه عليهم النظام الإسرائيلي من خلال أكثر من 50 قانون أساسي يتحكم في مختلف مفاصل حياتهم. تواصل الحكومة الإسرائيلية سياسة التهجير المتدرج للتجمعات الفلسطينية من أراضيها، مثلما يجري في النقب والجليل. ويحرض قادة دولة الاحتلال علانية على العنف العنصري ضد فلسطيني الـ48.

• احترام وحماية ودعم حقوق اللاجئين الفلسطينيين في العودة إلى ديارهم التي هُجروا منها واستعادة ممتلكاتهم، كما نص على ذلك قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة 194.

منذ قيام دولة الاستعمار-الاستيطاني الإسرائيلي من خلال التطهير العرقي الوحشي لأكثر من نصف الشعب الفلسطيني الأصلي في عام 1948، استحوذت إسرائيل على أكبر مساحة ممكنة من أرض فلسطين وهجرت الكثير من الفلسطينيين كلما سُنحت لها الفرصة. كنتيجة لهذا التهجير القسري الممنهج، هناك أكثر من 7.5 مليون لاجئ فلسطيني -بمن فيهم المهجرون داخلياً- وهم محرومون من حقهم التاريخي في العودة إلى ديارهم⁸⁶.

وتعقياً على هذه المطالب، فإن أهداف الحركة الثلاثة تركز على مطالب ومظلومية جميع الفلسطينيين، وليس فقط فلسطيني الضفة الغربية وقطاع غزة الذين يشكّلون فقط 38% من مجموع الفلسطينيين في العالم، حسب الحركة. فالحركة تريد أيضاً أن تعالج مطالب فلسطيني الشتات (يشكّلون تقريباً 50% من الفلسطينيين)، والفلسطينيين المقيمين في إسرائيل منذ عام 1948 (يشكّلون 12% من مجموع الفلسطينيين) والذين يتعرضون لتمييز عنصري متنامٍ من قبل المجتمع الإسرائيلي.

كما أن تركيز الحركة على المظالم الواقعة على جميع الفلسطينيين جعلها عُرضة لانتقادات متزايدة لضبابية مواقفها السياسية، وأنها لا تطرح برنامجاً متماسكاً للحل السياسي.

ولكن إذا نظرنا لجوهر أهداف الحركة فإنها لا تعمل من أجل حل سياسي محدد للقضية الفلسطينية، ولا تطالب بـ "حل الدولتين" ولا "حل الدولة الواحدة". فحركة مقاطعة إسرائيل BDS تناضل من أجل تطبيق الحقوق الأساسية للشعب الفلسطيني وتسعى إلى عزل دولة الاحتلال والاستعمار-الاستيطاني والفصل العنصري (الأبارتهايد) الإسرائيلي حتى يمارس الشعب الفلسطيني في الوطن والشتات حقه غير القابل للتصرف في تقرير المصير. وحيث لا يمكن للشعب الفلسطيني في الوطن والشتات ممارسة حقه في تقرير مصيره، دون هذه الحقوق الأساسية كشرط مسبق.

ثالثاً: الفاعلون واستراتيجيتهم

⁸⁶ ما هي حركة مقاطعة إسرائيل؟، مرجع سابق.

ينشط في الحركة مجموعة كبيرة من الفاعلين الذين يتجاوزون الحدود المحلية إلى المستوى الدولي. وعلى الرغم من أن مرجعية الحركة وقيادتها تُعتبر فلسطينية كما يوضح عمر البرغوثي⁸⁷، أحد مؤسسي الحركة، إلا أنها تعتمد -وبشكل كبير- على الجهود التطوعية لأفراد ومؤسسات مؤيدين لحقوق الفلسطينيين على مستوى العالم، إضافةً إلى المبادرات الفردية والجماعية المنظمة؛ حيث تنسق الحركة مع حلفائها حول العالم. كما ينتمي للحركة عدد قليل من الإسرائيليين المناصرين لها والمعادين للصهيونية والمتبئين لأهداف الحركة المناهضة بالمقاطعة الكاملة، وهو ما أسهم في نزع الفكرة الإسرائيلية التي تروج في الغرب على أن الحملة معادية للسامية.

ويمكن تقسيم استراتيجية الحركة والمساندين لها إلى قسمين رئيسيين: قسم يعمل خارجياً، وآخر يعمل داخلياً:

1- العمل خارجياً: تعتمد استراتيجية BDS على التغيير التدريجي الذي تسعى من خلاله كخطوة أولى إلى مقاطعة إسرائيل وسحب الاستثمارات منها في كافة المجالات (الاقتصادية، والأكاديمية، والثقافية، والرياضية، والعسكرية)؛ وذلك للوصول إلى الخطوة النهائية المتمثلة في عزل إسرائيل وفرض حصار دولي عليها بأشكال متعددة.

تترك BDS تعقيد التحالفات الدولية الداعمة لإسرائيل واختلاف السياقات الدولية؛ لذلك تتبنى الحركة مبدأ "حساسية السياق"، بمعنى أن نشطاء الحركة وحلفاءهم يقومون برسم أهدافهم واستراتيجياتهم التي تراعي ظروفهم المحلية وسياقات التفاعل معهم. لذلك، يتم وضع حملات الحركة المختلفة بصورة غير مركزية. فبعض النشطاء يمكن أن يقرروا مقاطعة جميع الجامعات الإسرائيلية، بينما يرى البعض الآخر مقاطعة الشركات المتورطة في الاستثمار بشكل غير قانوني في مستوطنات الضفة الغربية والأراضي المحتلة عام 1967⁸⁸. لهذا السبب بالتحديد، يستهدف غالبية نشطاء الحركة في أوروبا -على سبيل المثال- الاستثمارات في المستوطنات الإسرائيلية، والتي لا تشكل انتهاكاً للقانون الدولي فقط، بل أيضاً يمكن أن تشكل انتهاكاً لبعض القوانين والإجراءات الأوروبية التي تحظر الاستثمار في المستوطنات.

ولإجبار الشركات على سحب استثماراتها من إسرائيل، يقوم ناشطو الحركة بحملات منظمة ومستدامة تستهدف مهاجمة الشركات التي تستثمر في إسرائيل (وخاصةً في مستوطنات الضفة الغربية) من خلال التهديد بمقاطعة منتجاتهم أو التحريض عليها، أي إن الحركة تسعى إلى تعبئة المستهلكين للامتناع عن شراء منتجات الشركات أو خدماتها، وبالتالي تقليل الإيرادات وفرض تكاليف إضافية في السوق عن طريق إحداث ردود فعل سلبية بين جمهور المستهلكين وتدمير سمعة هذه الشركات بين زبائنهم؛ بهدف زيادة الضغوط على هذه الشركات.

2- العمل داخلياً: تقوم استراتيجية الحركة داخل الأراضي المحتلة عام 1967 على السعي لمقاطعة المنتجات والمؤسسات الإسرائيلية ونشر التوعية بين الفلسطينيين حول أهمية المقاطعة. وتُعتبر "اللجنة الوطنية لمقاطعة إسرائيل" و"اللجنة التنسيقية للمقاطعة الشعبية" والتي تشكلت حديثاً إحدى أهم الأدوات التي يتم استخدامها للتعبيد الشعبية. كما تسعى الحركة إلى تشجيع المنتج الوطني، وتوفير البديل للمنتج الإسرائيلي من حيث الجودة والسعر.

⁸⁷ ربي عنبتاوي، مقابلة مع عمر البرغوثي، آفاق البيئة والتنمية، 28 أغسطس 2014، <https://cutt.us/AUAap>

⁸⁸ المرجع السابق.

المبحث الثالث: هيكل وعمليات حركة المقاطعة

يتم تنظيم حركة المقاطعة BDS بطرقٍ متنوعة عبر الحدود، وهي مرنة على نطاق واسع من حيث هيكلها وعملياتها. يكون ذلك واضحًا عند دراسة حملات حركة المقاطعة BDS المختلفة، فالمجموعات والمنظمات المشاركة في حركة المقاطعة BDS هي التي تحدد إلى حدٍ كبير حملاتهم الخاصة - الهدف، والتكتيكات (المقاطعة، وسحب الاستثمارات)، والتكتيكات الفرعية مثل المظاهرات، والاعتصامات، والوقفات، وما إلى ذلك. يشارك الأفراد والجماعات والمنظمات في الغالب في حركة المقاطعة BDS كما يحلو لهم. لا توجد عضوية رسمية أو شروط للمشاركة في الحركة. الشروط الأساسية للدعم هي الموافقة على المطالب الثلاثة في النداء الفلسطيني للمقاطعة عام 2005.

أولاً: هيكل الحركة:

وهيكل الحركة يتكون من حملتين أو لجننتين رئيسيتين، كل منهما لها أهدافها العامة والكلية المتفق عليها من الهيئات والموقع عليها في الميثاق الخاص بها:

• اللجنة الوطنية الفلسطينية للمقاطعة.

• الحملة الفلسطينية للمقاطعة الأكاديمية والثقافية لإسرائيل.

الكثير من الأسئلة تدور حول كيف نشأت اللجنة، وما هي أدوارها الرئيسية، والدور الذي يقوده الفلسطينيون في حركة المقاطعة على وجه التحديد. وانطلاقاً من أحد أهداف الحركة التي تم إعلانها في بيانٍ سابقٍ "لا بد أن تتطور معايير المقاطعة ومناهضة التطبيع حسب تطور متطلبات نضالنا الوطني ومقاومتنا الشعبية".

نركز في هذا الفصل على المقاطعة الثقافية والأكاديمية للاحتلال، كونها السلاح الذي لا ينتج عنه دماء، ولكن كما سنرى فالجامعات هي التي تطور الأسلحة، والثقافة هي التي تخلق عقلية التطبيع عند الشعوب، وكون التغيير يبدأ أولاً من عالم الأفكار، ودور الحركات الاجتماعية هو التأطير المضاد ضد الاحتلال والأنظمة التسلطية، فتدرس الباحثة مساعي إسرائيل في هذا الشأن ودور المقاطعة في مقاومته.

ركز الفصل أيضاً على دور لامركزية الحركة، بما أن هناك درجة كبيرة من الاستقلالية في الحملات المحلية حول العالم. ويتيح لنا هيكل الفرص السياسية فهم كيف تتباين أنماط السلوك الجماعي من سياق محلي لآخر، ومن مدينة لأخرى لأنها ترتبط بطبيعة "هيكل الفرص السائد على المستوى المحلي".

لذلك تركز الباحثة على حساسية السياق، ودور التنظيم المحلي والعمليات التنظيمية المرنة، وكيف تجعل هذه الخصائص الحركة معادلة صعبة، وطريقة جديدة ومختلفة لتحدي إسرائيل في النضال الفلسطيني؟

1- اللجنة الوطنية الفلسطينية للمقاطعة

اللجنة الوطنية الفلسطينية للمقاطعة تُشكل أوسع ائتلاف في المجتمع المدني الفلسطيني، وتقود حركة مقاطعة إسرائيل (BDS) عالمياً

كنتيجة لتوافق الغالبية الساحقة في المجتمع المدني الفلسطيني على الحاجة لعمل مستمر واستراتيجي يهدف إلى تحقيق حقوق الشعب الفلسطيني من خلال عزل إسرائيل محلياً وعربياً ودولياً على الأصعدة الاقتصادية والأكاديمية والثقافية والعسكرية والسياسية، صدر في 9 يوليو 2005 النداء الفلسطيني لمقاطعة إسرائيل وسحب الاستثمارات منها وفرض العقوبات عليها (BDS) عن هذه الغالبية في الوطن والشتات، بمن فيها الأحزاب والاتحادات النقابية والمهنية والشعبية وأطر حقوق اللاجئين وشبكات المنظمات الأهلية وغيرها.

بعد المؤتمر الوطني الفلسطيني الأول لحركة مقاطعة إسرائيل BDS في عام 2007، تشكلت اللجنة الوطنية لمقاطعة إسرائيل وسحب الاستثمارات منها وفرض العقوبات عليها (BDS National Committee - BNC) في أوائل 2008، وتشكل اللجنة الوطنية الفلسطينية للمقاطعة اليوم أكبر ائتلاف في المجتمع المدني الفلسطيني في الوطن والشتات وقيادة حركة مقاطعة إسرائيل BDS محلياً وعالمياً.

تعمل اللجنة الوطنية للمقاطعة من أجل:

- 1) ترسيخ ونشر ثقافة المقاطعة كشكلٍ أساسي من أشكال المقاومة الشعبية السلمية لنظام الاحتلال والاستعمار - الاستيطاني والفصل العنصري (الأبارتهايد) الإسرائيلي.
- 2) بلورة وتطوير استراتيجيات وبرامج عمل لتطبيق نداء المقاطعة عبر حملات فعّالة، تُراعي الحساسية للسياق وضرورة تشكيل تحالفات عريضة.
- 3) قيادة حركة مقاطعة إسرائيل BDS عالمياً، وتقديم الدعم والتوجيه للناشطين/ات إقليمياً ودولياً.
- 4) رصد ومناهضة مشاريع التطبيع الفلسطيني والعربي مع إسرائيل ومؤسساتها ورموزها، على الصعيد الاقتصادي والأمني والشبابي والعلمي والبيئي والرياضي والنقابي والنسوي والسياحي وغيرها.
- 5) تحديد وتطوير أولويات ومعايير المقاطعة.
- 6) التنسيق لمؤتمرات وورشات عمل محلية وعالمية لتطوير ودعم حملات المقاطعة، وسحب الاستثمارات المختلفة.
- 7) تقديم أوراق بحثية ومعلومات دقيقة حول تورط الشركات الإسرائيلية والعالمية في انتهاكات القانون الدولي تمهيداً لمحاسبتها.

2- الحملة الفلسطينية للمقاطعة الأكاديمية والثقافية لإسرائيل

يوظف نظام الاستعمار الإسرائيلي الثقافة كغطاء لجرائمه ضد الشعب الفلسطيني باعتراف أحد المسؤولين الإسرائيليين الذي قال: "نحن نرى الثقافة كأداة هاسبراه* [بروباجاندا] من الطراز الأول"⁸⁹. وأضاف: "وأنا لا أفرق بين الهاسبراه

⁸⁹ Yuval BenAmi, About Face, Haaretz, 20 Sep 2005,

<https://cutt.us/IWKCB>

* مصطلح عبري يُشير للدبلوماسية العامة لإسرائيل.

والثقافة". "وتقدم وزارة الخارجية الإسرائيلية التمويل للفنانين والكتاب الإسرائيليين وغير الإسرائيليين، بشرط أن يعملوا كمزودي خدمات" على "ترويج المصالح السياسية الإسرائيلية"، ويعمل العديد من الفنانين الإسرائيليين ك"سفراء ثقافيين" لنظام الاستعمار الإسرائيلي. حينما يُقدم الفنانون العالميون عروضاً في المحافل والمؤسسات الثقافية الإسرائيلية، فإنهم يساعدون في خلق الانطباع الزائف بأن إسرائيل هي دولة "طبيعية" كباقي الدول.

في المقابل، تبنت الغالبية الكبرى من الفنانين والكتاب والكاتبات الفلسطينين والمراكز الثقافية الفلسطينية المقاطعة الثقافية لإسرائيل. كما أن عددًا متزايدًا من الإسرائيليين المعادين للصهيونية والاستعمار يدعم مقاطعة إسرائيل (BDS)، بما فيها المقاطعة الثقافية⁹⁰. فلطالما لعبت الجامعات الإسرائيلية دوراً هاماً في تبرير الاستعمار المستمر للأراضي الفلسطينية، وتشريع التطهير العرقي التدريجي للفلسطينيين، وإعطاء تبرير "أخلاقي" للقتل خارج إطار القانون. كما أن سياسة التمييز العنصري واضحة ومستشرية في الجامعات الإسرائيلية ضد الطلبة "غير اليهود"، أي الفلسطينيين، حيث كشفت دراسة أعدتها منظمة هيومن رايتس ووتش عام 2001 وجود تمييز عنصري مُأسس ضد الفلسطينيين في نظام التعليم الإسرائيلي، بما في ذلك الجامعات.

لإنهاء هذا الشكل من التواطؤ الأكاديمي في الجرائم والانتهاكات الإسرائيلية لحقوق الإنسان الفلسطيني وغيره، أطلقت عام 2004 مؤسسات المجتمع المدني الفلسطيني نداءً يدعو لمقاطعة المؤسسات الأكاديمية الإسرائيلية ورفض كافة أشكال التطبيع معها. وقد لبي النداء الكثير من الجمعيات الأكاديمية، بالذات الأمريكية، بالإضافة إلى جامعة جوهانسبورج التي قطعت في 2011 علاقاتها مع جامعة بن جوريون نظراً لتواطؤها في الانتهاكات الإسرائيلية لحقوق الإنسان، بما في ذلك سرقة المياه الفلسطينية. كما لبت النداء عشرات مجالس الطلبة والنقابات حول العالم ووقع آلاف الأكاديميين في كندا وجنوب أفريقيا والولايات المتحدة والبرازيل وبريطانيا وبعض الدول العربية وغيرها على عرائض تؤيد المقاطعة الأكاديمية للجامعات الإسرائيلية.

وتعد الجامعات الإسرائيلية جزءاً عضوياً من المؤسسة العسكرية الإسرائيلية، ولها دور كبير في انتهاك حقوق الشعب الفلسطيني.

بعض الأمثلة:

- تطور جامعة "تخنيون" الإسرائيلية تقنيات الطائرات دون طيار والجرافات التي يتم التحكم بها لاستخدامها في هدم منازل الفلسطينيين.
- طورت جامعة "تل أبيب" ما يُعرف بـ "عقيدة الضاحية" (نسبةً إلى الضاحية الجنوبية لبيروت)، وهي المتعلقة باستخدام الجيش الإسرائيلي قوة غير متكافئة في ارتكاب جرائم حرب ضد المدنيين والبنية التحتية المدنية للضغط على المقاومة.

⁹⁰ Palestinians, Jews, citizens of Israel, join the Palestinian call for a BDS campaign against Israel., October 2021.

Boycottisrael.

وكانت قوات الاحتلال الإسرائيلي قد وظفت تلك العقيدة في مجازرها ضد الفلسطينيين في غزة، وكذلك ضد المدنيين اللبنانيين.

• يُوفر برنامج "تلببوت" العسكري التابع للجامعة "العبرية"، والمدعوم من القوات الجوية الإسرائيلية والجيش، الفرصة أمام الخريجين في الحصول على شهادات جامعية عليا أثناء خدمتهم بالجيش، وبذلك يستغلون خبراتهم للتقدم في البحث والتطوير العسكري⁹¹.

أثر المقاطعة الأكاديمية:

تمكنت الحملة من تحقيق إنجازات كبيرة بدعم من الآلاف من الأكاديميين/ات من كافة أنحاء العالم، والعديد من المؤسسات الأكاديمية واتحادات الطلبة. على سبيل المثال:

- بعد توقيع 400 أكاديمي/ة من كافة جامعات جنوب أفريقيا، من بينهم رؤساء تسع جامعات، على عريضة تدعو للمقاطعة، صوت مجلس إدارة جامعة جوهانسبورغ بأغلبية ساحقة لصالح قطع علاقات الجامعة الرسمية مع جامعة بن جوريون الإسرائيلية بتاريخ 1 أبريل 2011. كما لاقت هذه العريضة دعماً من النقابات العمالية في البلد، بما في ذلك اتحاد نقابات العمال في جنوب إفريقيا COSATU و EHAWU.

- انضمام جمعيات ونقابات للمقاطعة الأكاديمية، حيث تحظى المقاطعة الأكاديمية لإسرائيل بدعم جمعيات أكاديمية من كافة أنحاء العالم، بما في ذلك "جمعية الدراسات الأمريكية"، و"الجمعية الوطنية لدراسات المرأة"، و"جمعية الأدب الأفريقي"، وغيرها.

كما تبنت نقابة المعلمين الأيرلندية واتحاد الطلاب المتحدثين باللغة الفرنسية في بلجيكا، والاتحاد الوطني للطلاب في المملكة المتحدة ونقابات الطلبة الخريجين العمالية من جامعة نيويورك وجامعة مساشوستس أمهيرست، والمجلس التمثيلي الطلابي في جامعة قطر وغيرها المقاطعة الأكاديمية لإسرائيل.

- آلاف الأكاديميون يوقعون على بيانات المقاطعة الأكاديمية، حيث وقع آلاف الأكاديميين في جنوب أفريقيا والولايات المتحدة والمملكة المتحدة والهند والسويد وأيرلندا والبرازيل وبلجيكا وإيطاليا وغيرها من الدول على بيانات تدعم المقاطعة الأكاديمية المؤسساتية لإسرائيل.

ثانياً: نماذج من نشاط حملات حركة المقاطعة

يُعتبر دور التنظيم المحلي المحدد حسب السياق أمراً بالغ الأهمية لفهم أكبر للديناميكيات التنظيمية لحركة المقاطعة العابرة للحدود. فتفعيل الحركة بهذه الطريقة يسمح للناشطين بمقاومة إسرائيل والتضامن مع الفلسطينيين في سياقات مختلفة حول العالم، وإيصال النضال الفلسطيني إلى مجموعة من المواقع مثل قاعات الاجتماعات وواجهات المحلات. وفي هذا السياق، فإن حملات المقاطعة المختلفة حول العالم هي عقد عبر الحدود يُشكل شبكة حركة المقاطعة. هؤلاء

⁹¹ Connie Hackbarth, (ed), Economy of the Occupation, Socioeconomic Bulletin, No 23, (Beit Sahour, the Alternative Information Center (AIC), October 2009), p 23.

النشطاء، المجموعات والحملات، وما إلى ذلك مرتبطة ببعضها البعض من خلال الشبكات. حيث توفر الشبكات البنية التحتية للتنسيق عبر الحدود في الحركة.

على سبيل المثال، حملة BDS ضد G4S هي حملة كبرى أخرى في الحركة. وG4S هي شركة أمن بريطانية خاصة، تقدم خدمات ومعدات أمنية للسجون الإسرائيلية، في نقاط التفتيش والقواعد العسكرية ومراكز الشرطة والشركات الخاصة داخل الأراضي الفلسطينية المحتلة وإسرائيل. عام 2012، أُعتقل سجناء سياسيون فلسطينيون بالداخل المحتل، وبدأوا إضرابًا جماعيًا عن الطعام، وبدأت حملات المقاطعة في التطور باتجاه تحميل G4S المسؤولية ودعوة الشركات والهيئات العامة لإلغاء علاقاتها مع G4S.

ولتوضيح دور اللامركزية والتنظيم المحلي في سرد كيف تطورت الحملة ضد G4S قال مايكل دياس، منسق BNC أوروبا:

"دعوة G4S على سبيل المثال، لم تكن تلك من مجموعة من الأشخاص الجالسين في فلسطين اتخذوا قرارًا بشأن G4S. جاء قرار تحقيق هدفها وتقديم الدعم لحملة G4S من معرفة أنه كان هناك بالفعل مجموعة عمل جارية على G4S في بلجيكا والدنمارك والمملكة المتحدة وشركاء في أماكن أخرى في أوروبا والولايات المتحدة. تلك اللحظة بالذات، في منتصف الإضراب عن الطعام، كان بدء الاتصال والعمل مع منظمات [فلسطينية] مثل Adameer التي تشارك بشكل مباشر في الإضراب عن الطعام لإنتاج حملة ضد G4S، وإضافة لحملة [G4S] المستمرة بالفعل"⁹².

حملات مثل G4S و Divest We والمقاطعة الأكاديمية في بريطانيا، ومقاطعة hava، بدون الحملات على المستويات المحلية، فإنه ما كان يمكن أن توجد الحركة في شكلها الحالي. لذلك فإن الوعي بالتنظيم المحلي وحساسية السياق يلعب دورًا مهمًا في هيكل وعمليات الحركة، وتحديدًا كيفية تنظيم الحركة عبر الحدود بطريقة لا مركزية. وقد لخص بيان PACBI بشأن الحركة ما يلي:

"كما كان الحال في النضال العالمي ضد الفصل العنصري في جنوب أفريقيا، وتلقي التوجيهات من ممثلي المظلومين الذين حظوا بتأييد واسع النطاق، وفي هذه الحالة القيادة الفلسطينية لحركة المقاطعة، واحترام المبادئ التوجيهية للمقاطعة التي وضعتها الغالبية العظمى في المجتمع المضطهد هو التزام أخلاقي لأي شخص أو مجموعة ذات قيم تتضامن بصدق مع المظلومين. يجب فهم ذلك في سياق حركة عالمية لامركزية تقوم على احترام تكتيكات الشركاء واختيار الأهداف، طالما أن المبادئ العامة للحركة محمية"⁹³.

العديد من الجهود المبكرة والتأسيسية التي بُذلت في تطوير حركة المقاطعة BDS والتي تمت مناقشتها في الفصل الثاني من هذه الأطروحة حول ظهور الحركة كانت إجراءات خاصة بالسياق. فقد كانت مبادرات سحب الاستثمارات التي ظهرت في حرم الجامعات في جميع أنحاء الولايات المتحدة، وفي الكنائس المسيحية، وفي المنظمات المحلية والائتلافية خارج فلسطين، مهمة لدمج سحب الاستثمارات كتكتيك قابل للتطبيق في الحركة. وبالمثل، فإن جهود المقاطعة

⁹² مايكل دياس، مقابلة أجراها سوزان موريسون، BNC، 7 سبتمبر 2012.

⁹³ Omar Barghouti, Putting Palestine Back on the Map: Boycott as Civil Resistance, Op. cit, p 55

الأكاديمية الأولية في بريطانيا وفرنسا وأستراليا وأماكن أخرى، جنبًا إلى جنب مع جهود المقاطعة المبكرة الأخرى مثل دعوة المقاطعة لعام 2001 من الإسرائيليين واليهود حول العالم ودعوة عام 2002 للمقاطعة الثقافية التي جمعت الموقعين من 18 دولة، ساعدت جميعها في إطلاق وتفعيل حركة المقاطعة BDS عبر الحدود.

ثالثًا: أدوات الحركة: الشبكات والتنسيق عبر الحدود

وفقا لدياني الحركات الاجتماعية هي "شبكات من التفاعلات غير الرسمية بين مجموعة من الأفراد، الجماعات، أو الجمعيات، المنخرطة في نزاع سياسي أو ثقافي، على أساس الهوية الجماعية المشتركة"⁹⁴. تتكون العديد من الحركات الاجتماعية المعاصرة، بما في ذلك حركة المقاطعة BDS، إلى حد كبير من مجموعات ومنظمات تعمل مع مجموعات أخرى أو لها صلات معها. داخل الحركة، هناك طبقات واسعة في الشبكات، مما يساهم بشكل أكبر في الشبكة الديناميكية التي تشكل حركة المقاطعة BDS العابرة للحدود. وفقًا لـ "كيك" و"سيكينك"، فإن الشبكات هي "هياكل تواصلية" ويكشف تدفق المعلومات بين الجهات الفاعلة في الشبكة عن شبكة كثيفة من الاتصالات بين هذه المجموعات، الرسمية وغير الرسمية. ويكون التنسيق بشكل غير رسمي ومن خلال مواقع المشاركين على شبكة الإنترنت، ومواقع التواصل الاجتماعي، وقوائم البريد الإلكتروني، والمؤتمرات المنكررة. تتكون الحركة من شبكات على شبكات ومن خلال تنسيق غير رسمي فضفاض، مما يوضح بشكل أكبر الهيكل اللامركزي للحركة والعمليات التنظيمية المرنة.

للمساعدة في هذا التنسيق من خلال شبكاتها، يتم استخدام أدوات مختلفة في الحركة مثل مواقع المجموعة أو الحملة، والشبكات الاجتماعية عبر Facebook و Twitter وغيرها، وقوائم البريد الإلكتروني. بالإضافة إلى الأدوات المستندة إلى الإنترنت، فإن المؤتمرات المتكررة وغيرها من الأحداث مثل أسبوع الفصل العنصري الإسرائيلي (IAW) قد جمعت الناس بشكل منتظم لتبادل المعرفة وتطوير الحركة. وفقًا لجيفري جويس، "... أدى استخدام الإنترنت، بما في ذلك قوائم التوزيع الإلكترونية وصفحات الويب التفاعلية إلى تسهيل أنماط جديدة من المشاركة الاجتماعية على نطاق واسع ... حيث باستخدام الإنترنت كبنية تحتية تكنولوجية، أصبحت هذه الحركات "عالمية" بشكل متزايد، وتعمل على المستويين المحلي والعالمي، مع دمج النشاط السياسي عبر الإنترنت وخارجه بسلاسة"⁹⁵. بهذه الطريقة، تجمع حركة المقاطعة BDS بين مجموعة متنوعة من الآليات لتنسيق حملات الحركة محليًا وعبر الحدود.

تمتلك كل مجموعة ومنظمة تقريبًا منخرطة في حركة المقاطعة (BDS) موقعًا كبيرًا على شبكة الإنترنت. لدى BRICUP عددًا كبيرًا من الأخبار والتحليلات على صفحتها الرئيسية، بالإضافة إلى النشرة الإخبارية BRICUP (حاليًا 85 إصدارًا متاحًا عبر الإنترنت)، وتقويم الأحداث / الإجراءات، ومعلومات أساسية وروابط للقراءة، والبودكاست، ومعلومات عن الحملات الأخرى، وطرق الحصول عليها. يحتوي موقع We Divest على معلومات حول الحملة

⁹⁴ عقل محمد أحمد، مفهوم هيكل الفرص السياسية وتطور الحركات الاجتماعية، مجلة كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، جامعة القاهرة، مجلد 16، العدد 3، يوليو 2015، ص 129-145.

⁹⁵ Omar Barghouti, Putting Palestine Back on the Map: Boycott as Civil Resistance, Op. cit. p55

TIAA-CREF والشركات المستهدفة كجزء من الحملة. على الصفحة الرئيسية، يمكن للنشطاء التوقيع على العريضة، والحصول على معلومات حول الأحداث القادمة، وأدوات تنظيم حملة محلية، وقراءة المنشورات من مواقع التواصل الاجتماعي، والتبرع للحملة.

تعمل هذه المواقع كمواقع معلومات وبوابات داخل الحركة عبر الوطنية واللامركزية والمتصلة بالشبكات. على السطح، توفر المواقع ثروة من المعلومات حول فلسطين، وحركة المقاطعة، وحملااتها. فضلاً عن ذلك، يمكن العثور على جوانب الحركة العابرة للحدود في اللغات المتعددة المتاحة للوثائق الأساسية في الحركة وحملااتها. على سبيل المثال، يحتوي موقع حركة المقاطعة BDS على دعوة فلسطينية 2005 للمقاطعة متاحة باللغات الإنجليزية والعربية والإسبانية والفرنسية والإيطالية والألمانية والعبرية. تعهد المقاطعة على موقع Stolen Beauty متاح باللغات العربية والتشيكية والهولندية والإنجليزية والفرنسية والعبرية والإسبانية. بالإضافة إلى الأخبار والمعلومات، تحتوي العديد من مواقع الويب في الحركة على معلومات للنشطاء للمشاركة في الحركة وتوفير "مجموعات أدوات الناشطين" - معلومات محددة لتنظيم الحملات أو الإجراءات المحلية والمواد التعليمية مثل أوراق الحقائق والنشرات والملصقات لدعم إنشاء الحملات المحلية و/أو أفعال. تعمل هذه المجموعات بنشاط على تسهيل زيادة تطوير الحركة اللامركزية من خلال تشجيع انتشار الحملات المحلية ذات السياق المحدد.

بينما كانت لا تزال في مهدها عندما تم إنشاء حركة المقاطعة BDS لأول مرة، فإن استخدام الشبكات الاجتماعية من خلال مواقع مثل Facebook و Twitter و YouTube و Google+ و Instagram و Flickr و Tumblr و Pinterest وما إلى ذلك أصبحت أكثر شيوعاً في تنظيم وتنسيق الحركة عبر الحدود. تقريباً جميع المجموعات و / أو الحملات في الحركة لها وجود على وسائل التواصل الاجتماعي، ويمكن لأي شخص الانضمام إلى مجموعات BDS على Facebook أو متابعة مجموعة على Twitter.

بالإضافة إلى الأدوات المستندة إلى الإنترنت المستخدمة لتسهيل التنظيم في حركة عبور الحدود، فقد تم تنسيق الحركة الأوسع خلال المؤتمرات وورش العمل والندوات المتكررة وما إلى ذلك.

المبحث الرابع: تقييم خطابات الحركة

ونلمس في خطاب حركة المقاطعة التوجه إلى الغرب، فلا تصف الحركة الأراضي الفلسطينية المحتلة عام 1948 بالمحتلة، بل وتطالب بالمساواة فيها بين الفلسطيني والصهيوني، وهي لغة مقتبسة من نداء المقاطعة الجنوب أفريقي. وتدّعي الحركة -وفق موقعها الإلكتروني- أن تلك المطالب ليست مجزأة، "والجمع بين مطلبى العودة والمساواة ومطلب إنهاء الاحتلال والاستعمار للأراضي العربية، مع الحرص على عدم تجزئة هذه المطالب، لا يمكن اعتباره إلا دعوة تحريرية تستهدف المشروع الصهيوني برمته وهياكله".

والجدير بالذكر أن الإشارة لاستهداف الكيان لم يتم التطرق إليها في صفحة الحركة باللغة الإنجليزية.

وعلى الرغم من إشارة الحركة في موقعها إلى حق الفلسطيني في النضال المسلح، فإن الإشارة تلك ارتبطت بجملة "طالما كانت منسجمة مع مبادئ القانون الدولي وحقوق الإنسان والقانون الدولي". وفي هذا استمرار لنمط اللغة الموجهة إلى الغرب أكثر منها إلى الداخل، حيث إن نقاش ضوابط النضال المسلح فلسطينياً، يستجدي لغة أكثر تحديداً وأدق توصيفاً وأقرب إلى الواقع. ومع ذلك، فإن الحديث عن النضال المسلح، قد تم تقاديه كذلك في الصفحة الإنجليزية للحركة.

أولاً: الاتساق الأخلاقي مقابل التأثير الاستراتيجي

غالبًا ما يواجه المدافعون عن العدالة والمدافعون عن حقوق الإنسان معضلة ما إذا كان ينبغي إعطاء الأولوية للمبادئ الأخلاقية على الفعالية الموجهة نحو الهدف في حملاتهم. في حين أنه قد يكون هناك في كثير من الحالات مفاضلة بين الاثنين، إلا أنهما لا يستبعد أحدهما الآخر، ويمكن أن يكون اختيار أحدهما لاستبعاد الآخر فقط في حالة التمسك بالمبادئ على حساب التأثير، فالحركة لها نشاط في الغرب وتتعرض لمضايقات من اللوبي الصهيوني وأتباعه ومن السهل التأثير على استراتيجيتها. ولكن لنرجع إلى أصولها الأخلاقية ومبادئها الواضحة، ونرى كيف يتسق الفعل مع القول، فحركات حقوق الإنسان الناجحة تستمد شرعيتها من عدالة قضيتها أولاً وشرعية أساليبها. وهذا يأخذنا لسؤال أطرنا له في بداية الدراسة: هل الحركة كنمط مقاومة للكيان تعتبر مقاومة حضارية أم لا؟ الإجابة على هذا السؤال تتبع من معرفتنا بطبيعة الهجمة، ثم المقاومة وأساليبها وأخلاقياتها ومرجعيتها في هذا، فنؤجل الإجابة عنه قليلاً للتعرف على الحركة..

بدايةً، ما الذي يحدد أخلاقية أو عدم أخلاقية حركة المقاطعة؟

إن أي مبادرة لمقاطعة أي مؤسسة أو دولة يمكن أن تُعدّ أخلاقية أو غير أخلاقية بناءً على أهدافها أو على وسائلها. وبالنسبة إلى الأهداف، يمكننا أن نقاطع مجموعة ما لمجرد أنها تنتمي إلى قومية أو ديانة معينة، كما يمكننا أن نقاطع مجموعة من العنصريين بسبب آرائهم وممارساتهم البغيضة. ومن الواضح أن النمط الأول من المقاطعة يمكن أن يُعتبر غير أخلاقي بسبب أهدافه، بينما لا يمكن أن يُوضع النمط الثاني من المقاطعة في الخانة ذاتها. كذلك يمكن أن تُعتبر المقاطعة غير أخلاقية نظراً للوسائل المعتمدة في تنفيذها. ومع أن أغلب حركات المقاطعة تعتمد على ممارسة الأفراد لحقوقهم الاقتصادية والثقافية، وتتكوّن من أعمال طوعية لا تفرض على أحد سلوكاً معيناً، إلا أن بعضها يلجأ إلى وسائل غير أخلاقية لتنفيذ أهدافه، مثل الحد من حرية الأفراد أو انتهاك حقوقهم. إذن، لو سلّمنا أن أخلاقية المقاطعة تعتمد أساساً على أهدافها ووسائلها، يمكننا أن نتساءل عما إذا كان هناك بين أهداف حركة مقاطعة إسرائيل أو وسائلها ما يجعلها غير أخلاقية؟

قبل المبادرة إلى الإجابة عن هذا السؤال، لا بدّ من التنكير بأن حركات المقاطعة تُعتمد بشكل واسع في أنحاء كثيرة من العالم، بما فيها الدول الغربية، لتحقيق أهداف سياسية واجتماعية شتى. ففي الولايات المتحدة الأمريكية، على سبيل المثال، كثيراً ما نجد مجموعات في المجتمع المدني تدعو إلى مقاطعة شركات بسبب ممارساتها التمييزية، أو إلى مقاطعة مجموعات بسبب مواقفها السياسية، أو حتى إلى مقاطعة ولايات بسبب سياساتها أو قوانينها. ففي عام 2010،

تكوّنت حركة في الولايات المتحدة لمقاطعة ولاية أريزونا لأنها شرّعت قانوناً اعتُبر أنه يميز ضد الأجانب، وخصوصاً أولئك الآتين من المكسيك، وقد انضمت الكثير من المؤسسات العامة إلى تلك الحركة، من بينها حكومات بلدية، مثل المجلس البلدي في مدينة لوس أنجلوس، الذي منع موظفيه من الذهاب إلى أريزونا لأغراض مهنية، كما منع الحكومة البلدية من التعامل مع شركات مقرها في أريزونا. وقد دامت تلك المقاطعة أكثر من سنة كاملة، واعتبر البعض أنها نجحت في إقناع بعض الولايات الأخرى بالعدول عن تشريع قوانين مماثلة⁹⁶.

ثانياً: الحجج الموجهة ضد حركة مقاطعة إسرائيل ودحضها

أما الحجج الموجهة ضد مقاطعة إسرائيل، فيمكن أن تلخص ضمن خمسة بنود رئيسية، على النحو التالي:

1- يدّعي بعض منتقدي حركة مقاطعة إسرائيل أنها تحدّ من الحرية الأكاديمية وحرية الرأي، وذلك لأنها تمنع الأكاديميين والمنتقنين والفنانين الإسرائيليين من التعبير عن آرائهم وعرض أعمالهم في المحافل وعلى المنابر الدولية. وهذه الحجة الموجهة ضد أساليب أو وسائل حركة المقاطعة تسيء فهم وسائل الحركة، ربما بشكل متعمّد، إذ إن المقاطعة موجهة، حسب مبادئها المعلنة رسمياً، ضد المؤسسات وليس ضد الأفراد. مع ذلك، يجب الإقرار بأنه من الممكن أن تؤدي بعض أعمال المقاطعة إلى الحد من مشاركة بعض الأفراد الإسرائيليين في المؤتمرات الأكاديمية والحفلات الفنية وغيرها؛ مثلاً إذا قاطع مهرجان موسيقي أوركسترا إسرائيلية أو إذا لم تتم الموافقة على عقد مؤتمر أكاديمي تحت مظلة جامعة إسرائيلية. كما يمكن أن تضرّ مثل تلك الأعمال بمصالح بعض الأفراد في إسرائيل. فهل يعني ذلك أنه قد تمّ الحد من حريتهم في التعبير عن آرائهم، أو انتهاك حقوقهم الأساسية؟

من الواضح أن ثمة محافل عديدة ومناسبات متعددة يمكن أن يمارس فيها الفرد الإسرائيلي حقوقه في التعبير عن رأيه، ولا تنعدم الفرص أمام المنتقنين والفنانين الإسرائيليين ليفعلوا ذلك في دولتهم، حيث لديهم منابر كثيرة ووسائل تكنولوجية شتى لإيصال صوتهم إلى العالم الخارجي (مقارنة مثلاً بالمنتقنين والفنانين الفلسطينيين الذين لا يتمتعون بتلك الفرص، لا سيما بسبب الاحتلال). ولا يمكن بالتالي أن تُعتبر المقاطعة انتهاكاً لحقوق الأفراد الإسرائيليين وإن مسّت بمصالحهم أحياناً. وتجدر الإشارة، في هذا السياق، إلى أن بعض التدابير والقوانين الموجهة ضد أنصار المقاطعة، التي مُررت مؤخراً في الولايات المتحدة، هي التي تحد من حرية الرأي والتعبير، إذ إنها تمنع المواطنين في الولايات المتحدة من ممارسة حقهم في التعبير عن رأيهم وممارسة النشاط الاقتصادي كما يشاءون، إذا كان الأمر يصب في خدمة حركة المقاطعة.

2- يزعم بعض أعداء حركة مقاطعة إسرائيل أنها منافقة لأنها يجب أن تتوجه أولاً إلى دول مثل الصين أو كوريا الشمالية أو حتى الولايات المتحدة، إذ إن كل تلك الدول وغيرها تنتهك حقوق الإنسان بشكل أفدح من إسرائيل، وهي بالتالي أولى بالمقاطعة من إسرائيل. والجواب على تلك الحجة أنها تسيء فهم الأساس الأخلاقي للمقاطعة بشكل عام. فالمقاطعة هي مجرد أسلوب لتحقيق هدف أخلاقي ما، وليست وسيلة يمكن اعتمادها بشكل فعال أينما وجدنا انتهاكاً

9 7 محمد علي الخالدي، الأسس الأخلاقية لحركة المقاطعة والانتقادات الموجهة ضدها، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 20 أكتوبر 2016،

لحقوق الإنسان. من المؤكد أن ثمة جرائم أخرى في العالم عدا تلك التي ترتكبها إسرائيل، وقضايا عادلة غير قضية فلسطين، بل يمكن التسليم بأن ثمة انتهاكات لحقوق الإنسان أفدح مما نشاهده في فلسطين، لكن لا يمكن اتباع أسلوب المقاطعة في كل واحدة من تلك الحالات بشكل فعّال. فعلى سبيل المثال، ليس من المجدي مقاطعة كوريا الشمالية لأنها معزولة أصلاً عن أغلبية العالم ولا تشارك في معظم المحافل الثقافية والفنية، بسبب العقوبات الاقتصادية المفروضة عليها من قبل الأمم المتحدة والولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي. ولم تنجح تلك العقوبات حتى الآن في تغيير تصرفاتها، سواء على المستوى الداخلي أو الخارجي. من جهة أخرى، ليس من الممكن مقاطعة الولايات المتحدة من قبل من يسكن فيها، ولن تؤدي مقاطعتها إلى نتيجة إذا مورست من قبل بعض الأفراد والمجموعات المقيمين خارجها، لأن اقتصادها الجبار لن يتأثر بحركة محدودة نسبياً.

إن المقاطعة وسيلة وليست هدفاً بحد ذاته، ويتم تطبيقها حصرياً في الحالات التي يمكن أن تؤدي إلى النتائج الأخلاقية المرجوة؛ وإسرائيل أولى من غيرها، لأنها دولة تعتمد بشكل أساسي على الغرب، وتستمد منه دعماً مادياً ومعنوياً لا يمكنها أن تستغني عنهما، وبالتالي يمكن أن تؤثر المقاطعة على تصرفاتها وتجعلها تدفع ثمناً ملموساً لانتهاكاتها للحقوق الفلسطينية، خاصة إن أتت من جانب العالم الغربي أو من جانب أوساط معينة في الغرب.

3- يقول البعض إن مقاطعة إسرائيل تضرّ بالقضية الفلسطينية، إذ إنها تجعل المجتمع الإسرائيلي أكثر تعنتاً وتطرفاً، بينما يجب أن يركّز الطرف الفلسطيني على محاورة المجتمع الإسرائيلي ومخاطبته مباشرة وليس مقاطعته. بل يزعم هؤلاء أن المثقفين والأكاديميين الإسرائيليين هم من أكثر عناصر المجتمع الإسرائيلي تجاوباً مع القضية الفلسطينية، وهم أكثر شرائح المجتمع الإسرائيلي استعداداً للحوار والعمل على إيجاد حل للقضية الفلسطينية. قبل الرد على هذه الحجة، يجب التذكير بأن حركة المقاطعة قامت من بين أنقاض محاولات عديدة للحوار والتبادل الثقافي بين المجتمعين الإسرائيلي والفلسطيني، كما قامت بعد فشل كل المبادرات السياسية والسلمية. فقد جرت تجارب عديدة لإقامة حوار ما بين مجموعات فلسطينية وإسرائيلية في التسعينيات من القرن الماضي في فلسطين كما في الغرب، بعضها رسمي وبعضها الآخر غير رسمي، لكنها لم تُحقق أية نتائج ملموسة ولم تُغيّر شيئاً على أرض الواقع. والمجتمع الإسرائيلي اليوم هو أكثر تطرفاً من أي وقتٍ في الماضي، كما برهنت انتخابات الكنيست الأخيرة التي جرت في مارس 2015. وعلى الرغم من ادعاء الأكثرية في الأوساط الأكاديمية والثقافية بأنها تعارض الاحتلال، فإن معارضتها هذه أصبحت في الواقع سلبية وخجولة، وهي غير قادرة على التأثير على المؤسسة السياسية الإسرائيلية أو غير رغبة في ذلك. والأهم من ذلك كله أن أي دعوة إلى الحوار في ظل احتلال عسكري دموي يمكن أن تُعتبر مُشينة من الناحية الأخلاقية، لأن لا مجال لحوار حقيقي في غياب تناسق في القوة بين المتحاورين، كما أن مطالبة المضطهد بمحاورة المضطهد تفرض على الأول القبول بالظلم والاستبداد بدلاً من المقاومة.

4- يدعي بعض منتقدي حركة المقاطعة أنها تنزع الشرعية عن إسرائيل وتطالب بتدمير إسرائيل، وهو انتقاد موجّه إلى الأهداف السياسية لحركة المقاطعة، ويتعمد تشويه وتحريف هذه الأهداف. فقد حدّدت حركة المقاطعة أهدافها السياسية بشكل واضح، واختصرتها بثلاثة بنود صريحة: إنهاء الاحتلال (عن الضفة الغربية، وقطاع غزة، ومدينة

القدس، وهضبة الجولان)، وعودة اللاجئين (حسب قرار الأمم المتحدة رقم 194)، ومنح الحقوق الأساسية للمواطنين الفلسطينيين داخل إسرائيل. وعليه، لا يمكن لمن اطلع على أهداف هذه الحركة أن يعتبر أنها تُطالب بتدمير إسرائيل، بل يمكن القول إن أهداف الحركة تنطوي على اعتراف ضمني بإسرائيل لدى المطالبة بالحقوق الكاملة للفلسطينيين من حاملي الجنسية الإسرائيلية بصفتهم مواطنين في دولة إسرائيل. وأمّا إذا قيل إن إعطاء هؤلاء المواطنين حقوقهم الكاملة وعودة اللاجئين سيؤديان إلى تدمير دولة إسرائيل، فهذا الادّعاء يقوم على افتراض أن إسرائيل ستزول لو أصبحت دولة ديمقراطية لكل مواطنيها. وحتى لو سلّمنا أن تحقيق هذين الهدفين سيقضي على إسرائيل كدولة صهيونية عنصرية، فإن أصحاب هذا الانتقاد يقصدون من ورائه إثارة المخاوف من "إبادة" الشعب الإسرائيلي وليس من مجرد تغيير الطابع السياسي للدولة.

إن نزع الشرعية عن دولة إسرائيل بصفتها دولة تميّز بين مواطنيها على أساس عرقي أو ديني، هو هدف لا غبار عليه أخلاقياً، ولا ينطوي على إبادة شعب أو على تدمير مجموعة بشرية. أخيراً، يزعم خصوم حركة المقاطعة أنها معادية للسامية. ويشكل هذا الادعاء الانتقاد الأضعف من قبل أعداء حركة المقاطعة، لكنه يتردد بشكلٍ دوري في الكثير من الأوساط الغربية. ويمكن التصدي له كما تصدّينا للانتقاد السابق، إذ إنه من الواضح أن أهداف الحركة المعلنة لا تحتوي على أي شيء يمكن أن يُستشف منه معاداة أي ديانة أو عرق أو إثنية.

أمّا بالنسبة لوسائل المقاطعة، فإن المؤسسات الإسرائيلية لا يجري مقاطعتها لمجرد كون الأفراد العاملين فيها هم في أغليتهم من اليهود. ونجد تلك المفارقة كثيراً حين نعترض على سياسات وممارسات دولة إسرائيل في المحافل الدولية، إذ إن الناطقين باسمها يعتبرون أن أي اعتراض على سياسات وممارسات إسرائيل هو بمثابة اعتداء على الشعب اليهودي كشعب، وذلك بحجة أن إسرائيل تعرّف نفسها بصفتها دولة اليهود وتعتبر نفسها ممثلة لكل يهود العالم. بيد أن هذا التعريف هو تعريفها هي وليس تعريف بقية العالم لها، لا سيما اليهود غير الصهاينة الذين يرفضون ذلك التعريف بقوة. ويمكن التذكير هنا أيضاً أن حركة المقاطعة قد حظيت بدعم ومساندة بعض المنظمات اليهودية غير الصهيونية أو المعادية للصهيونية، مثل منظمة "صوت يهودي للسلام" (Jewish Voice for Peace).

خلاصة:

يوضح التنسيق من خلال شبكات الحركة كيف أن حركة المقاطعة BDS هي شبكة من النشاط عبر الحدود. ويساهم الهيكل اللامركزي والمتشابك للحركة العابرة للحدود، جنباً إلى جنب مع العمليات التنظيمية السائلة، في طريقة جديدة ومختلفة لتحدي إسرائيل، والتي يمكن أن تؤثر على الديناميكيات المستقبلية في الصراع الإسرائيلي الفلسطيني. تشير الشبكة الكثيفة من الاتصالات بين المجموعات في حركة المقاطعة BDS إلى أن جزءاً كبيراً من هيكل الحركة يتكون من شبكات واسعة يكون التنسيق من خلالها غير رسمي وغير إلزامي. الروابط والدعم الواسعين لبدء حملات

محددة السياق تسهل تطوير حركة المقاطعة العابرة للحدود الوطنية لتحقيق العدالة الفلسطينية. كما أن تنسيق الشبكات وعبور الحدود في الحركة يساهم في لامركزيتها وسيولتها. هذه الجوانب مهمة لتحديد كيف تمثل حركة BDS تنظيمياً طريقة جديدة لتحدي إسرائيل عبر الحدود.

وما يميز مراحل التطور المواكبة لعملية التعبئة التنظيمية للحركة عن المراحل الأولى المبكرة المرتبطة بنشوء الجماعة، هو أن تأثير الفرص لم يعد مستقلاً، وإنما يغدو، عقب ممارسة النشاط، أحد مخرجات التفاعل بين تلك الجماعة كفاعل موجود على الساحة من ناحية، والسياق البيئي المحيط الذي تمارس نشاطها في إطاره وتتحرك بداخله من ناحية ثانية، وتكون محصلته إما تعظيم الفرص أو تقليصها.

من المهم تحديد هذه الجوانب التي سبق ذكرها بشأن هيكلية وعمليات الحركة؛ لأنها تُظهر كيف أن الحركة هي طريقة جديدة ومختلفة لتحدي إسرائيل. لم نشهد في الماضي نشاطاً عبر وطني منظمًا بهذه الطريقة في النضال الفلسطيني. إن جوانب معينة من الحركة يقودها الفلسطينيون بالضرورة، لكن مسألة القيادة في الحركة لا تشير إلى وجود هيكل قيادة مركزي رسمي من أعلى إلى أسفل من داخل فلسطين (أو الفلسطينيين في الشتات كما كان الحال عندما وجهت منظمة التحرير الفلسطينية حركة التحرر الوطني من الخارج). لم تشهد أي فترة أخرى في تاريخ النضال الفلسطيني مثل هذه الهياكل والعمليات المتقلبة على المستوى العابر للحدود الوطنية.

من شأن التغطية الإعلامية الواسعة للحملة أن تساعد على معالجة أي سوء توصيف لمهمتها واستراتيجيتها. فعلى سبيل المثال، لطالما واجه أنصار حملة المقاطعة اتهامات بالعداء للسامية وبامتلاك نوايا خبيثة، على الرغم من النداء الذي أطلقه التحرك في العام 2005 وحضّ صراحةً من خلاله على اعتماد "إجراءات عقابية غير عنفية"، وقد حشد النداء الدعم من مجموعات يهودية متعدّدة. مما لاشك فيه أن الطريقة التي يُصوّر بها التحرك في وسائل الإعلام تساهم في منح الزخم لإنجازاته أو النقل من شأنها. وقد أدت السجلات الأخيرة إلى توسيع دائرة التغطية الإعلامية لحملة مقاطعة إسرائيل وسحب الاستثمارات منها وفرض العقوبات عليها، ومنحتها حيّزاً متزايداً في الخطاب عن النزاع. وبالتالي، يشكّل هذا الاهتمام الإعلامي بحدّ ذاته عامل نجاح مهماً بالنسبة إلى التحرك.

وعلى الرغم من تعرض حركة مقاطعة إسرائيل لهجمات مكثفة في الغرب لأسباب يُزعم أنها أخلاقية، فإنها لم تتصدّ، كما يبدو، لتلك الهجمات بشكل وافٍ ولم تبذل جهوداً كافية لدحض الحجج الموجّهة ضدها. وعليه، تستعرض الباحثة أهم الانتقادات الموجّهة إلى هذه الحركة، وترى الردود عليها. كما أنه لكي تصبح الحركة مقاومة حضارية فيجب أن تكون واضحة بشأن استخدام كافة الوسائل ومنها المقاومة المسلحة، فهي وسيلة لتقرير المصير، لا نقول إن تتبنى الحركة الكفاح المسلح ولكن تتكامل جميع الوسائل نظراً لكونها تستخدم الأساليب الدبلوماسية التي يمكن توظيفها أيضاً لإكساب الكفاح المسلح شرعية دولية.

وختاماً، فإن التحول قد ينجم عن تفاعل الجماعات مع الدولة، ومع بعضها البعض في الداخل والخارج على السواء، فضلاً عن قدرة الجماعة على توليد الفرص لنفسها أو لغيرها.

الفصل الرابع: فعالية حركة المقاطعة

مقدمة

المبحث الأول: إنجازات حركة المقاطعة.

المبحث الثاني: رد الفعل الصهيوني على إنجازات حركة المقاطعة.

المبحث الثالث: تحديات وقيود حركة المقاطعة.

خلاصة

مقدمة:

تعمل حركة المقاطعة وسحب الاستثمارات وفرض العقوبات BDS منذ نشأتها على الدعوة إلى مقاطعة دولة الاحتلال بكافة مؤسساتها على اعتبار أنها دولة أبارتهايد، تعتمد في ممارساتها على انتهاك القوانين الدولية وحقوق الإنسان، وهو ما أسمته دولة الاحتلال الإسرائيلي "جهود نزع الشرعية عن إسرائيل"، لذلك فإن حركة المقاطعة لا تستهدف الأفراد أو المؤسسات بناءً على خلفيتهم القومية وإنما تستهدف الأطراف المتورطة في قمع الفلسطينيين وانتهاك حقوقهم.

نجحت الحركة عبر سنوات عملها بتطوير استراتيجيات وآليات عمل مسترشدة بتجربة مناهضة الأبارتهايد في جنوب أفريقيا، وساعدت على تحقيق إنجازات هامة على العديد من الأصعدة، وهو ما دفع إسرائيل لاعتبارها "خطرًا استراتيجيًا". وتشهد الحركة تطورات لا تزال مستمرة على الصعيد المحلي والدولي، وتراكم إنجازات متتالية وتواجه تحديات مستمرة يصعب حصرها في نقاط محددة؛ ونتناول هنا مجموعة من النجاحات التي حققتها الحركة أو ساهمت في تحقيقها كحركة تحرر عابر للقوميات مع التركيز على معركة كسب الرأي العام الدولي والمقاطعة الأكاديمية والثقافية والمقاطعة الاقتصادية، إلى جانب التعرف على معوقات الحركة وفرص نجاحها في المستقبل.

وهذه المرحلة الأخيرة من دراسة حركة المقاطعة التي تدرس فيها الباحثة مصير العمل الجماعي وفرص فعاليته: وتكون نقطة البدء في تحليل دور الجماعة في تغيير الوضع الراهن هي الجمع بين الأهداف والاستراتيجية المعلنة، وما تظلم به من ممارسات وأنشطة. ذلك، بهدف التعرف على درجة التحدي الذي تمثله الجماعة بالنسبة للعدو، والذي يتولد عنه رد الفعل الصهيوني، أو درجة التجاوب معها من أوساط التضامن والمؤسسات الدولية، أو الاستجابة الجزئية، وتلبية بعض مطالبها دون البعض الآخر، أو فشل بعض الأهداف المحلية. مصير الجماعة ونصيبها من النجاح أو الإخفاق، ومستوى فعاليتها يتحدد بهذه المؤشرات مجتمعة - كما سنرى.

المبحث الأول: إنجازات حركة المقاطعة

أولاً: حملة الحق في المقاطعة⁹⁷

ردًا على الحرب الإسرائيلية المتصاعدة ضد حركة المقاطعة منذ 2016 - كما سنرى، أطلقت اللجنة الوطنية للمقاطعة وحلفاؤها حول العالم، حملة "الحق في المقاطعة" التي شملت الحصول على تأييد منظمات مثل منظمة العفو الدولية، والفيدرالية الدولية لحقوق الإنسان، بالإضافة إلى اتحاد الحريات المدنية في نيويورك الذي رفض سن قوانين أمريكية ضد المقاطعة، وتسليم عريضة إلى مفوض الأمم المتحدة السامي لحقوق الإنسان وقّع عليها أكثر من 23.000 شخص تطالب بحماية الحق في المقاطعة. وقد سبق ذلك، إصدار مجلس منظمات حقوق الإنسان الفلسطينية ورقة موقف تؤكد قانونية حركة المقاطعة وفق مواثيق حقوق الإنسان⁹⁸.

ومما شكل اختراقًا لموقف الاتحاد الأوروبي الداعم لإسرائيل، قيام حكومات السويد وإيرلندا وهولندا بإعلان دعمها لحق المجتمعات المدنية في الدعوة والعمل على مقاطعة إسرائيل، بغض النظر عن عدم دعم هذه الحكومات لحركة المقاطعة. فقد صرح تشارلز فلانجان، وزير خارجية إيرلندا، أن "حركة المقاطعة (BDS) وجهة نظر شرعية"، وأن وزارته "ستراقب التطورات" فيما يخص التهديدات الإسرائيلية ضد عمر البرغوثي. وقال: "أنا لا أؤيد محاولات شيطنة من يعملون من أجل حركة المقاطعة".

⁹⁷ Palestinian BDS National Committee, Right to Boycott, <https://bdsmovement.net/righttoboycott>

⁹⁸ Palestinian Human Rights Organizations Council (PHROC) Statement on BDS Movement, 8 February 2016, <https://cutt.us/fZSfJ>

وفي موقف مشابه، قال بريت كويندرز، وزير الشؤون الخارجية الهولندي: "إن نشاط حركة مقاطعة إسرائيل محمي ضمن حريتي التعبير والتجمع".

تشكّلت تحالفات مدنية واسعة في الولايات المتحدة باسم "تحالف الحرية في المقاطعة" لمواجهة الحرب القانونية، وهي تضم عشرات المنظمات والحملات، مثل التحالف في نيويورك الذي يضم أكثر من 100 منظمة ومجموعة. وتسعى هذه التحالفات لمواجهة مشاريع القوانين على أساس أنها تخالف التعديل الأول في الدستور الأمريكي⁹⁹، ونجحت في بعضها، إضافة إلى تقديم الدعم لمن يتعرضون للقمع والمضايقات. ومن ضمن أشهر التقارير والمواقف التي اتخذتها المنظمات الدولية:

ثانيًا: تقرير لجنة الأمم المتحدة الاقتصادية والاجتماعية لغرب آسيا (إسكوا)¹⁰⁰

يُعتبر تقرير الإسكوا من أهم الإنجازات على صعيد تصنيف نظام دولة الاحتلال كنظام أبارتهايد وتطهير عرقي. فقد أصدرت المفوضية الاقتصادية والاجتماعية لدول غرب آسيا والتابعة للأمم المتحدة - إسكوا، تقريرًا في مارس 2017 يؤكد أنه وفقًا للقوانين الدولية فإن إسرائيل عملت على تأسيس نظام أبارتهايد تفرض من خلاله الهيمنة الكاملة على الشعب الفلسطيني وتمارس ضده جريمة الفصل العنصري، واستند هذا التقرير إلى القانون الدولي في تعريف الأبارتهايد مشيرًا إلى أن ما يحدث في فلسطين الآن من ممارسات الفصل العنصري لا يختلف عن نظام الأبارتهايد السابق في دولة جنوب أفريقيا وناميبيا الذي حاربه المجتمع الدولي بكافة مكوناته. كما يُشير التقرير إلى مسؤوليات الدول التي تنص عليها القوانين الدولية، في محاربة الأبارتهايد، ويُطالب الدول والمؤسسات بإجراءات مقاطعة ضد دولة الاحتلال الصهيوني من أجل إنهاء نظام الأبارتهايد.

يستنتج هذا التقرير أن استراتيجية تفتيت الشعب الفلسطيني هي الأسلوب الرئيسي الذي تفرض إسرائيل به نظام الأبارتهايد، وحرص إسرائيل على إخضاع الفلسطينيين لقوانين مختلفة تبعًا لمكان عيشهم هي الوسيلة الأساسية التي تفرض بها إسرائيل الأبارتهايد، في الوقت الذي تحجب عن المجتمع الدولي الطريقة التي يعمل بها النظام ككل متكامل ليشكل نظام أبارتهايد.

ويقدم التقرير بعض الحجج المضادة التي تدفع بها إسرائيل وحلفاؤها لإنكار انطباق اتفاقية مناهضة الأبارتهايد على حالة إسرائيل فلسطين، ومن تلك الحجج ما يدعي بأن إسرائيل هي ليست الدولة الوحيدة التي تصر على هويتها الدينية وأن إصرار إسرائيل على أن تظل دولة يهودية يتفق مع ممارسات دول أخرى. كما تدعي إسرائيل أن ممارساتها بحق الفلسطينيين هي نتيجة لواقع الصراع الجاري والاحتياجات الأمنية، وأن إسرائيل لا تدين للفلسطينيين غير المواطنين بمعاملة مساوية لليهود لأنهم غير مواطنين ولا يقومون بواجبات المواطنة. ويُقدم التقرير دحضًا قانونيًا لهذه الحجج

⁹⁹ Koenders, Answers to Questions from the Member Grashoff about Israeli Threats against Supporters of the Boycott, Divestment and Sanctions (BDS) movemet, <https://cutt.us/WARDQ>

¹⁰⁰ Richard Falk, and Virginia Tilley, Q. Israeli Practices towards the Palestinian People and the Question of Apartheid. *Palestine and the Israeli Occupation*, Issue No. 1, Spring 2017, PP 165. <https://cutt.us/BsRDq>

وغيرها: فمثلا تدعي اسرائيل أنه لا يمكن تشبيه نظام الأبارتهايد في جنوب أفريقيا كونها تُعطي حقًا بالتصويت لمواطنيها الفلسطينيين، ويُقدم التقرير دحضًا لهذا الادعاء يستند الى خطأين في التفسير القانوني: المقارنة الحرفية مع سياسة الأبارتهايد في جنوب أفريقيا وعدم إمكانية فصل مسألة حقوق التصويت عن القوانين الأخرى، تحديدًا أحكام القانون الأساسي التي تحظر على الأحزاب السياسية الطعن في طابع الدولة اليهودي، وبالتالي، العنصري.

يخلص التقرير إلى أن كل ما يتوفر من أدلة يؤكد ارتكاب إسرائيل جريمة ضد الإنسانية، جريمة فرض نظام أبارتهايد على الشعب الفلسطيني، وهذه جرائم واجب مناهضتها وحظرها وفقًا للقانون العرفي الدولي. ويُطالب التقرير المجتمع الدولي بكافة مكوناته، ولا سيما الأمم المتحدة ووكالاتها، والدول الأعضاء للالتزام بمسؤولياته الدولية والأخلاقية للحيلولة دون نشوء حالات الأبارتهايد ومعاقبة المسؤولين عن هذه الحالات، وعلى الدول، تحديدًا، واجب جماعي يتمثل في:

(أ) ألا تعترف بشرعية نظام أبارتهايد؛ (ب) ألا تقدم معونة أو مساعدة لدولة تُقيم نظام أبارتهايد؛ (ج) أن تتعاون مع الأمم المتحدة والدول الأخرى على القضاء على نظم الأبارتهايد.

كما يُخاطب التقرير مؤسسات المجتمع المدني والأفراد للالتزام بواجبها الأخلاقي والسياسي باستخدام الأدوات المتاحة لهم لإثارة الوعي الدولي بمشروع دولة إسرائيل الإجرامي المتواصل، وللضغط على إسرائيل لحملها على تفكيك هياكل نظام الأبارتهايد امتثالًا للقانون الدولي، ويقدم التقرير مجموعة من التوصيات في هذا الإطار.

إسرائيل مدركة تمامًا لخطورة الاتهام بجريمة الأبارتهايد ولما ورد في تقرير الإسكوا، الذي جعلها تبذل جهودًا دبلوماسية كبيرة لمهاجمة التقرير ومقاومته ورفض نشره. ونجحت إسرائيل عبر علاقاتها الاستثنائية بسحب التقرير مما تسبب باستقالة وكالة الأمين العام للأمم المتحدة والأمينة التنفيذية للجنة "الإسكوا" - بعد أن تقدّمت باستقالة مسببة إلى الأمين العام للمنظمة الأممية أنطونيو جوتيريش، في أعقاب الضغوط التي مورست عليها من أجل سحب التقرير¹⁰¹. إن الجهود التي تبذلها حركة المقاطعة، لا تقتصر على تحقيق الإنجازات المباشرة وإنما أيضًا التأثير في صنّاع القرار والهيئات الدولية للنظر في القضية الفلسطينية، وفقًا للمعايير والأعراف الدولية ذاتها التي ساهمت في إنهاء الفصل العنصري في جنوب أفريقيا.

مع كل نجاح تحقّقه حركة المقاطعة، يزداد القلق الإسرائيلي تجاهها، ومن إمكانية دخول إسرائيل بعزلة نتيجة لعدم امتثالها للقوانين والأعراف الدولية. فالحركة تبذل جهودًا كبيرة بكشف الواقع الذي يعيشه الفلسطينيون والذي يتنافى تمامًا مع ما حاولت إسرائيل لعقود طويلة أن تعكسه من قيم الديمقراطية وحقوق الإنسان واحترام القانون الدولي.

ثالثًا: معركة كسب الرأي العام:

تعمل حركة المقاطعة على إحداث تغيير في الرأي العام العالمي خاصة في المجتمعات الغربية فيما يتعلق بفهم الطبيعة العنصرية لدولة الاحتلال والخروقات التي تمارسها الدولة للقوانين والأعراف الدولية من خلال انتهاك حقوق الفلسطينيين، وتوجه الحركة جهودها في العمل من خلال مؤسسات المجتمع المدني الدولية وحركات التحرر الاجتماعي

نص استقالة د.ريما خلف، السفير العربي، 19 مارس 2017،¹⁰¹

والحركات الحقوقية، بحيث يتنامى الدعم والتحرك لمساندة حقوق الفلسطينيين، مما يشكل صعوبة في إبقاء الحكومات الغربية على دعمها المستمر لحكومة الاحتلال.

سجل استطلاع الرأي العام لـ LUNTZ¹⁰² الذي أُجري في الولايات المتحدة في العام 2015 - وذلك قبل التضامن العالمي الكبير الذي كان في العام 2021 بسبب الهبة الشعبية الأخيرة في جميع فلسطين المحتلة، والهجوم الإسرائيلي على غزة، والانتهاكات في المسجد الأقصى، وكلها تطورات أحدثت تغييراً في الرأي العام العالمي وعكست إنجازات الحركة هذا التغيير كما سنرى - سجل الاستطلاع تحول اغير مسبق تجاه إسرائيل، حيث أشارت النتائج إلى أن 67% من المؤثرين على صنع القرار في الحزب الديمقراطي الأمريكي يعتقدون بأن إسرائيل لها تأثير عال في سياسة الولايات المتحدة وأن 47% منهم مقتنعين بأن إسرائيل دولة عنصرية، وأن 31% من المستطلعة آراؤهم على استعداد لدعم حركة المقاطعة BDS، ويفضل 49% فرض عقوبات على دولة إسرائيل واتخاذ إجراءات أكثر جدية بحقها، كما أن 1% من اليهود الأمريكيين يدعمون مقاطعه كاملة لدولة الاحتلال. ومع ذلك يبقى الدعم الذي تحظى به إسرائيل في الولايات المتحدة الأمريكية كبيراً، والتحديات التي تواجه حركة BDS داخل الولايات المتحدة كبيرة¹⁰³.

إلا أن استطلاع أجرته مؤسسة "بروكينجز" في العام 2016 وشارك فيه 2570 مواطن أمريكي، يُشير لوجود فرص لحركة المقاطعة في التأثير والحد من الدعم الغربي لدولة الأبارتهايد والاستعمار¹⁰⁴. ذلك حتى أن نجاحات وإنجازات حركة المقاطعة دفعت الإعلام الإسرائيلي لتسليط الضوء عليها، كما اهتم السياسيون والمعلقون الإسرائيليون بما يمكن تسميته النمو السريع للحركة، ففي يونيو 2013 أعلن رئيس حكومة إسرائيل بنيامين نتنياهو أن حركة المقاطعة تشكل "خطرًا استراتيجيًا" على دولة إسرائيل، وطلب من وزارة الشؤون الاستراتيجية عمل كل ما يلزم لمواجهة الحركة. وفي مقابلة أجرتها جريدة هآرتس الإسرائيلية مع وزير الحكومة الأسبق "يهود براك" في يناير 2015 اعتبر أن نتنياهو يقود إسرائيل نحو كارثة، وأن حركة المقاطعة تقترب من تحقيق ذروة النمو¹⁰⁵.

أصبح اللجوء إلى الرأي العام والمجتمع الدولي خيارًا استراتيجيًا لحركة المقاطعة، فالحركة تهدف إلى مواجهة المجتمع الدولي بالتزاماته الأخلاقية والأعراف الدولية من أجل إنهاء التواطؤ الدولي مع الاستعمار والاحتلال الإسرائيلي، فشركات عالمية مثل (Orange, Veolia, CRH) انسحبت من السوق الإسرائيلي تجاوبًا مع حركة BDS. وتعمل الحركة على أساس أن النجاح في عزل الشركات والمؤسسات الإسرائيلية دوليًا وإضعافها اقتصاديًا سيساهم في تحويل الموقف داخل إسرائيل ومجتمعها، وإدراك أنه ليس من الممكن الاستمرار في قمع الفلسطينيين وتجاهل حقوقهم.

¹⁰² DAVID HOROVITZ, Israel losing Democrats, 'can't claim bipartisan US support,' top pollster warns, THE TIMES OF ISRAEL, July 2015, <https://cutt.us/tcx52>

¹⁰³ حركة المقاطعة (BDS) توجع الاحتلال، الحياة الجديدة، 6 ديسمبر 2016، <https://cutt.us/6jHbN>.

¹⁰⁴ Why Israel Fears the Boycott', Op.cit.

¹⁰⁵ Omar Barghouti, Putting Palestine Back on the Map: Boycott as Civil Resistance, Op.cit p55.

أحدثت حركة المقاطعة صدى واهتمامًا عاليين في الإعلام، فالحركة تنجح في قيادة حالة من المد والجزر في الرأي العام العالمي تجاه دولة الاحتلال، وهذا النجاح والنمو يبعث برسالة أمل واضحة للفلسطينيين أن الرأي العام العالمي يمكن أن يتجه تدريجيًا لدعم الفلسطينيين، خاصة أن نداء المقاطعة قائم على توافق وتأييد جميع الأحزاب السياسية والاتحادات النقابية الفلسطينية ومؤسسات حقوق الإنسان وممثلي هيئة القوى الوطنية والإسلامية، وشبكة المنظمات الأهلية في الأراضي المحتلة عام 1967 والأراضي المحتلة عام 1948 ومعهم مؤسسة "بديل" أوسع ائتلاف للاجئين، وهذا يجعلها أكثر وثيقة متوافق عليها وتُلاقى الإجماع في صفوف الفلسطينيين، وهو ما أظهرته نتائج استطلاع للرأي العام الفلسطيني أجراه المركز الفلسطيني للأبحاث والسياسات الاقتصادية "ماس"؛ إذ وجد أن 86% من الفلسطينيين يؤيدون حركة المقاطعة.

تلقت حركة المقاطعة تجاوبًا من مؤسسات المجتمع المدني الغربي، كما تلقت دعم من الكنائس والاتحادات والمؤسسات الأهلية والحركات التقدمية بما فيها بعض الحركات اليهودية التي تلعب دورًا مهمًا في عمل حركة المقاطعة، فالحركة تلقي قبولًا دوليًا كونها حركة تدعم الحرية والعدالة والمساواة، وتدعو إلى محاربة الإقصاء أو التمييز المبني على أساس عرقي أو ديني أو إثني أو غيره، وهذا يُسقط عن الحركة صفة حركة معادية للسامية "Anti-Semitic" التي تلجأ إسرائيل إلى إطلاقها على أي حزب أو حراك ينتقد عنصرية وإرهاب دولة الاحتلال، فالحركة تهاجم الاحتلال بسبب مسؤوليته عن انتهاكات القوانين الدولية، ولا تربط بين الصهيونية واليهودية في هذا الإطار، فالمقاطعة هي ضد سياسة دولة غير عادلة، وهو ما ساهم في انضمام شخصيات وأفراد يهود للحركة بسبب معارضتهم لممارسات دولة الاحتلال¹⁰⁶.

كما شكّلت الهبة الفلسطينية الشعبية الأخيرة 2021 حافزًا قويًا لحركة المقاطعة ومناصريها حول العالم، من نقابات عمالية وحركات اجتماعية ومؤسسات مجتمع مدني، لمضاعفة عملها لعزل النظام الإسرائيلي، في الوقت الذي عادت فيه القضية الفلسطينية إلى صدارة الاهتمامات بعد التطبيع الرسمي والقمع المتزايد، ومن أبرز مؤشرات تأثير حركة مقاطعة إسرائيل (BDS) لهذا العام 2022¹⁰⁷، والتي ساهمت الحركة وشركاؤها حول العالم في تحقيقها كما يذكر موقع الرسمي الحركة على الإنترنت:

1- أصدرت منظمة "هيومن رايتس ووتش" تقريرًا تاريخيًا أكد حقيقة شدّد عليها الفلسطينيون وخبراء حقوق الإنسان والمدافعون عنها منذ عقود، وهي: "أنّ النظام الإسرائيلي ضدّ الكلّ الفلسطينيّ هو نظام أبارتهايد مركّب يحرم ملايين الفلسطينيين، من ضمنهم اللاجئين، من حقوقهم الأساسية بحكم هويّتهم كفلسطينيين".

¹⁰⁶ Omar Barghouthi, BDS the Global struggle for Palestinian Rights, Op. cit.

¹⁰⁷ أبرز نجاحات حركة التضامن العالمية مع حقوق الشعب الفلسطيني في العام 2021، اللجنة الوطنية الفلسطينية للمقاطعة، 4 يناير 2022،

<https://cutt.us/V3Zpd>

2- دعا عشرة رؤساء سابقين وأكثر من 700 من البرلمانيين ورؤساء البلديات والشخصيات الثقافية والأكاديمية من أمريكا اللاتينية وآسيا وأفريقيا الأمم المتحدة إلى إدانة إسرائيل كدولة فصل عنصري "أبارتهايد"، وفرض عقوبات موجّهة عليها¹⁰⁸.

3. أعلن أكبر صندوقٍ لمعاشات التقاعد والتأمين في النرويج (KLP) سحب استثماراته البالغة قيمتها 31 مليون دولار من 16 شركة متورّطة في الجرائم الإسرائيليّة، من بينها "موتورولا" و"الستوم" و"سيلكوم"، بسبب صلاتها بالاستيطان الإسرائيلي في الأراضي الفلسطينيّة المحتلّة. كما سحب صندوق التقاعد النيوزيلندي استثماراته من 5 مصارف إسرائيلية بسبب تمويلها لعمليات البناء في المستعمرات الإسرائيلية غير الشرعية على الأرض الفلسطينيّة المحتلّة.

4. صوّت حزب العمل البريطاني في مؤتمره الأخير بأغلبية ساحقة لصالح قرار يُدين إسرائيل كدولة أبارتهايد، داعياً إلى فرض عقوباتٍ عليها، بما يشمل التعاملات التجارية خاصةً العسكرية¹⁰⁹.

5. وقعت 39 منظمةً عماليّة، تمثل مئات الآلاف من العمال في جميع أنحاء كندا، رسالةً مفتوحةً إلى رئيس الوزراء الكنديّ "جوستين ترودو" تطالب فيها حكومته بوقف التجارة العسكرية مع إسرائيل فوراً. بينما تبنّى اتحاد النقابات الكندية مقاطعة السلع الاستيطانيّة داعياً إلى سحب الاستثمارات من الشركات الأمنيّة والعسكريّة الإسرائيليّة، وطالب كندا بفرض حظرٍ عسكريّ على إسرائيل.

6. بعد سنوات من حملات المقاطعة (BDS)، أعلنت شركة "بين آند جيريز" الأمريكيّة للمثلّجات أنّها لن تجدد تعاقدتها مع الشركة الإسرائيليّة الموزّعة، لتنتهي مبيعات المثلّجات في المستعمرات الإسرائيليّة غير الشرعيّة المقامة على أراضٍ فلسطينيّة مسلوّبة¹¹⁰.

7. استبعد البنك المركزي النرويجي "Norges Bank"، الذي يُدير أكبر صندوق معاشات تقاعدية في العالم، ثلاث شركات متورّطة في نظام الاستعمار الاستيطاني الإسرائيلي (Elco Ltd) و (Ashtrom Group Ltd) و (Electra Ltd)، وذلك في أعقاب حملة ناجحة لشركاء حركة المقاطعة في النرويج، بالذات النقابات العمالية.

8. أعلن صندوق (Lothian) للمعاشات التقاعدية، ثاني أكبر صندوق تقاعدٍ للسلطات المحلية في أسكتلندا، سحب استثماراته من بنك "هبوعليم" الإسرائيلي. ويضمّ الصندوق أكثر من 84 ألف عضوٍ، بينما تبلغ قيمة أصوله 8 مليارات جنيه إسترليني.

¹⁰⁸ Rally for Palestine, Global South Response, 4 July 2021, <https://cutt.us/bFEjt>

¹⁰⁹ Joe Gill, Labour Conference Votes to Back Sanctions against Israel over 'crime of apartheid', Middleeasteye, 27 September 2021, <https://cutt.us/aIEYJ>

¹¹⁰ Palestinian BDS National Committee (BNC), Success: Ben & Jerry's ends Israel license Agreement, bdsmovement, 19 July 2021, <https://cutt.us/SfFfo>

9. أعلنت الحكومة الأيرلندية أن بناء إسرائيل للمستعمرات غير الشرعية على الأراضي الفلسطينية يعدّ "ضمًا فعليًا"، لتكون بذلك أول دولة تتخذ موقفًا علنيًا كهذا في الاتحاد الأوروبي¹¹¹.

10. قدّم البرلمان التشيلي مشروع قانونًا لحظر استيراد منتجات المستعمرات الإسرائيلية في الأرض الفلسطينية المحتلة باعتبار الاستيطان غير شرعي¹¹².

11. أدان الآلاف من الفنانين والرموز الثقافية، بمن فيهم نجوم هوليوود وموسيقيون وفنانون معاصرون ومؤلفون مرموقون، نظام الأبارتهايد الإسرائيلي وتبنوا نهج عزل قطاع الثقافة الإسرائيلي المتواطئ.

واحتج أكثر من 250 مفكر وفنان عربي ضد "معهد العالم العربي" في باريس بسبب ميله لتطبيع وجود العدو الإسرائيلي. كما وانسحب فنانون/ات وشعراء/شاعرات عرب/يات من مبادرة شعرية تابعة لمعرض "إكسبو دبي" التطبيعيّ، رفضًا لاستغلال نتائجهم/ن الأدبيّ في التغطية على التطبيع الرسمي للنظام الإماراتي.

12. نظمت عشرات المجموعات في 13 مدينة في أربع قارات مهرجان "سينما كورية من أجل فلسطين"، دعمًا للنضال الفلسطيني ضد الأبارتهايد، ورفضاً لد "الغسيل الوردى" من قبل النظام الإسرائيلي لجرائمه بحق شعبنا. كما تعهد أكثر من 200 مخرج/ة أفلام كورية بعدم المشاركة في الأحداث التي ترعاها الحكومة الإسرائيلية.

13. وقّع أكثر من 350 قسماً ومركزاً ونقابةً وجمعيةً أكاديمية، إلى جانب أكثر من 23 ألف أكاديمي/ة وطالب/ة وموظف/ة جامعيّ/ة، بياناتٍ لدعم الحقوق الفلسطينية، مع العديد من المطالبات بمقاطعة أكاديمية لإسرائيل. وأعلنت رابطة الطلاب في معهد الدراسات العليا للدراسات الدولية والتنمية في جنيف عن نفسها كمنطقة حرّة من الأبارتهايد (Apartheid Free Zone)، لتكون بذلك أول اتحاد طلابي يؤيد حركة المقاطعة (BDS) في سويسرا.

14. أصدرت كلّ من جامعة برازيليا وجامعة كوستاريكا قراراتٍ تاريخيةً أعلنتا فيها أنّه لن تربطهما علاقات مع شركاتٍ متورّطة في نظام الاستعمار الاستيطاني والاحتلال العسكري والأبارتهايد الإسرائيلي.

15. أدانت نقابة موظفي وأساتذة جامعة مدينة نيويورك (CUNY)، والتي تمثل 30,000 عضواً، إسرائيل كدولة استعمار-استيطاني وأبارتهايد. وصوّت مجلس إدارة ومحررو مجلة "N.Y.U. Review of Law & Social Change" بجامعة نيويورك لدعم حركة المقاطعة BDS ومقاطعة المؤسسات الأكاديمية الإسرائيلية المتواطئة على وجه الخصوص.

16. تصاعد الضغط هذا العام على شركة "سيميكس" (CEMEX) المكسيكية، إحدى أكبر الشركات المصنّعة لمواد البناء في العالم، لإنهاء ضلوعها في النظام الاستعماري الإسرائيلي، حيث طالبت أكثر من 130 منظمةً مكسيكية

¹¹¹ Marie O'Halloran, Ellen O'Riordan, Ireland becomes First EU Country to Declare Israel is Involved in 'de facto' annexation, Irishtimes, May 27 2021, <https://cutt.us/g2xkm>

¹¹² AlHaq Welcomes the Chilean Parliament's Introduction of a Bill Prohibiting the Import of Illegal Settlement Goods, Products and Services, AlHaq defending Human rights, 9 Jun 2021, <https://cutt.us/llcfc>

للمحقوق المدنية الشركة المكسيكية بإنهاء مشاركتها في بناء جدار الضمّ والفصل العنصري والحواجز العسكرية والمستعمرات الإسرائيلية غير الشرعية.

17. بعد شهور من الضغط، سحب صندوق تقاعد شرق ساسكس (East Sussex) في بريطانيا استثماراته من أكبر شركة للتصنيع العسكري الإسرائيلي "إلبيت"، والتي تُروّج لأسلحتها "المجربة" على الفلسطينيين والعرب عموماً.
18. أيّد المركز الدولي للتضامن (Centre International De Solidarité Ouvrière)، الذي يُشكل ائتلاًفاً كبيراً يضم أكثر من 60 نقابة عمالية ومؤسسة مجتمع مدني في "كيوبيك" بكندا، حركة المقاطعة BDS بالإجماع وطالب الحكومة الكندية بتصنيف إسرائيل كدولة أبارتهايد.

19. تصاعد الدعم العالمي في أوساط الكنائس ضد نظام الأبارتهايد والاستعمار الإسرائيلي، فأدانت الكنيسة الأسقفية في ولاية فيرمونت الأمريكية بغالبية 89-25 السياسات الإسرائيلية العنصرية بحق الشعب الفلسطيني المدعومة من الولايات المتحدة، كما دعت كنيسة السويد المؤسسات المسكونية للتحقيق مع إسرائيل كدولة أبارتهايد.

20. أُلغيت مباراة كرة القدم "الودية" بين فريق نادي برشلونة وفريق "بيتار" الإسرائيلي العنصري، وذلك على إثر ضغط أطراف عديدة، فلسطينية ودولية، على النادي الكتالوني للعدول عن لعب المباراة، كونها ستقام على أرض فلسطينية مسلوّبة، وتجمع فريق برشلونة بفريق إسرائيليّ عنصريّ بامتياز. وتعهّد نادي قطر الرياضي الممتاز بعدم التجديد عقده مع شركة "بوما" وسط دعوات لمقاطعتها بسبب تواطؤها مع نظام الأبارتهايد الإسرائيلي.

كما أعربت أعداد غير مسبوقة من نجوم الرياضيين بشجاعة عن تضامنها مع النضال الفلسطيني ضد الأبارتهايد في الملاعب وأمام الملايين من المتابعين/ات على وسائل التواصل الاجتماعي.

21. قدمت النائبة الفنلندية فيرونيكا هونكاسالو مشروع قانون إلى البرلمان لحظر استيراد أي سلع منتجة في المستعمرات الإسرائيلية كونها غير شرعية¹¹³.

كل هذه المؤشرات يمكن أن تجيب على السؤال الملحّ هل تؤثر حركة مقاطعة إسرائيل BDS فعلاً على إسرائيل؟ وهل تدعم بشكلٍ ملموس نضال الشعب الفلسطيني ضد الاستعمار؟

بالرغم من تزايد الجرائم الإسرائيلية كل يوم، في القدس وغزة والخليل والنقب واللد وحيفا وغيرها، إلا أن وتيرة نموّ حركة مقاطعة إسرائيل (BDS) حول العالم قد تزايدت بدعم أحرار العالم. فقد شهدت هذه السنة 2021 قيام العديد من المنظمات الحقوقية وحركات التحرر والنقابات العمالية وأطر الأكاديميين والفنانين والكنائس والعديد من المسؤولين المنتخبين، بالذات في النصف الجنوبي من الكرة الأرضية، بإدانة إسرائيل كنظام أبارتهايد، بالإضافة لكونها نظام استعمار-استيطاني واحتلال عسكري.

¹¹³ Finland to debate a bill banning trade with illegal settlements, Posted in EU/Israel trade agreements, Our Work, 15 November 2021, <https://cutt.us/8HG9e>

بالإضافة لذلك فإن أن الهبة الأخيرة شهدت تعاضد كافة أشكال المقاومة المدنية منها والمسلحة، ففي أواخر أبريل 2021، كان المشهد الفلسطيني مقلقاً. إزاء مشروع الرئيس دونالد ترامب، الموصوف بصفقة القرن، اقتصر الرد الفلسطيني على الرفض الكلامي، ولم توقف هجمة الرئيس الأميركي إلا هزيمته الانتخابية. وعندما قامت دولة الإمارات العربية بخطواتها نحو التطبيع، برز العجز الفلسطيني جلياً، وبدا كأنه يتفاهم مع التحاق البحرين، ثم السودان، ثم المغرب، بقطار التطبيع، وإعراب دول أوروبية فاعلة عن رضاها عن هذه الخطوات، من دون أن تكثر بنتائجها التهميشية على القضية الفلسطينية.

وفي يناير 2021، بدا بعض الأمل بإمكان تجديد وتقوية شرعية الهيئات الفلسطينية الرسمية من خلال الانتخابات، لكن الأمل ما لبث أن تبدد بسبب انكشاف أزمة حركة "فتح" البنيوية، وتفتتها إلى ثلاث قوائم انتخابية، وإعلان تأجيل الانتخابات. ثم فجأة، وبعد هذا الانحدار الذي لم يكن من المستطاع أن نرى في الأفق سواه، حدث الانعطاف الحاد في المسار بأكمله¹¹⁴.

كان يمكن لكل من أحداث المقاومة والتضامن داخل وخارج إسرائيل نتيجة للحرب على غزة التي وقعت في مايو 2021، أن يكون كل، بمفرده، محدوداً في نطاقه وتأثيره، وألا يخرج على ما عهدناه من أنماط سابقة، لكن اللافت أن كل فعل في موقع معين كان يغذي فعلاً آخر في موقع آخر، والذي كان يعود فيغذي الفعل الأول، ضمن عملية تفاعلية اتسعت وتضاعفت، ثم انتشرت في أنحاء فلسطين كافة: في الضفة الغربية بما فيها القدس الشرقية، وفي قطاع غزة، وفي المدن والبلدات والأحياء الفلسطينية في إسرائيل، وامتدت إلى الشتات الفلسطيني ولدى داعمي القضية الفلسطينية في العالم، ونرى جلياً المقولات التي بدأنا بها الدراسة عن دور الجماعة في إحداث التغيير وكيف أنها تخلق الفرص لها ولغيرها من الجماعات.

رابعاً: عزلة دولية:

دعت منظمة العفو الدولية المحكمة الجنائية الدولية إلى "النظر في جريمة الفصل العنصري، في سياق تحقيقاتها الحالية في الأراضي الفلسطينية المحتلة، وناشدة جميع الدول ممارسة الولاية القضائية الشاملة وتقديم مرتكبي جرائم الفصل العنصري إلى العدالة".

الأمينة العامة لمنظمة العفو الدولية، أنياس كالامار، صرحت في مؤتمر صحفي إن "تقريرنا يكشف النطاق الفعلي لنظام الفصل العنصري في إسرائيل. وسواء كان الفلسطينيون يعيشون في غزة أو في القدس الشرقية أو الخليل أو إسرائيل نفسها، هم يُعاملون كجماعة عرقية دونية، ويُحرمون من حقوقهم على نحو ممنهج. وقد تبين لنا أن سياسات التفرقة ونزع الملكية والإقصاء القاسية المتبعة في جميع الأراضي الخاضعة لسيطرة إسرائيل تصل بوضوح إلى حد الفصل العنصري. ومن واجب المجتمع الدولي التصرف"¹¹⁵.

¹¹⁴ Why Israel Fears the Boycott, Op.cit.

¹¹⁵ خليل موسى، رفض إسرائيلي وترحيب فلسطيني بتقرير أمستي عن الفصل العنصري، اندبنت عربية، 4 فبراير 2022 <https://cutt.us/Lqb8i>

ومع إصدار التقرير الذي تم جمعه على مدى أربع سنوات، المكون من 278 صفحة، تتضمن منظمة العفو الدولية إلى منظمات حقوقية أخرى في توجيه الاتهام إلى إسرائيل، إذ وجهت "هيومن رايتس ووتش" في عام 2021 اتهامات مشابهة إلى إسرائيل، بعد أشهر قليلة من بدء منظمة حقوق الإنسان الإسرائيلية المعروفة "بتسليم" وصف إسرائيل بأنها نظام "فصل عنصري"، وقد رفضت إسرائيل على الفور اتهامات تلك المنظمة أيضاً¹¹⁶.

المحلل في الشأن الإسرائيلي عصمت منصور يقول لـ "اندبندنت عربية"، "لطالما تخوف الإسرائيليون من عام 2022، بأنه سيكون عام وصم إسرائيل بدولة فصل عنصري. عزلة تل أبيب المتزايدة سنوياً تؤكد بطريقةٍ أو بأخرى أن حركة المقاطعة BDS انتقلت إلى مرحلة جديدة وأكثر فاعلية، إذ تكسب مناطق جديدة في العالم وخصوصاً الغربي، وتصبح شرعية أكثر فأكثر. والنجاحات التي أحرزتها BDS في دول العالم تدفع مزيداً من القوى السياسية في إسرائيل إلى الغضب وإطلاق الدعوات لممارسة طرق وأساليب دعائية جديدة، واتخاذ مسارات جدية وأكثر فعالية." رأينا ذلك جلياً أيضاً في الأساليب الدبلوماسية التي تنتهجها إسرائيل بإحياء خطة مقلع سليمان، واستغلال المنظمات غير الحكومية لكسب الدعم والتمويل، وربما التطبيع العربي الرسمي ومؤسساته تلعب دوراً في هذا الجانب، فبدا واضحاً في الفترة الأخيرة ظهور العديد من صناعات المحتوى العرب المتحدثين بالعربية مروجين لمحتوى صهيوني، ومحسنين لصورة إسرائيل بشكلٍ غير مباشر والاعتراف بشرعيتها كدولة ديمقراطية، مع أن مصادر التمويل لهؤلاء تكون شركات غير حكومية ولكن بدا واضحاً من تصريحات وخطة لابييد التي يقودها بنفسه، من أين يأتي التمويل وما هي الأهداف الخفية.

خامساً: حركة المقاطعة مستمرة وفي تصاعد:

تشكل المقاطعة الاقتصادية مصدر خطر وإزعاج لأية دولة تُمارس ضدها، ويزداد التأثير حين تكون المقاطعة اقتصادية ثقافية عسكرية، ذلك كما يحدث مع دولة الاحتلال الإسرائيلي من مقاطعة أكاديمية واقتصادية ونقابية وعسكرية وثقافية وإعلامية وغير ذلك من الأشكال. ويعود هذا التأثير لنشاط حركة مقاطعة إسرائيل وسحب الاستثمارات منها. ولا تقدّم حركة المقاطعة نفسها بديلاً عن مقاومة الاحتلال بأشكاله الأخرى، بل هي مكملتها بما لها من تأثير قد يكون أكبر على الاحتلال من المقاومة السياسية أو العسكرية، وهذا ما يلمسه القائمون على الحملة من خلال حجم رد الفعل الإسرائيلي وتسخير ملايين الدولارات لمواجهةها. وبشأن هدف دعم حركة المقاطعة وتعزيزها في مختلف المحافل لتحقيق أهدافها، فإن ذلك يتطلب تعزيز التنسيق بين مختلف الجهات الرسمية والشعبية، والتاجر والمستهلك لإقناعه بأهمية مقاطعة إسرائيل والضغط عليها للانصياع للحقوق الفلسطينية. وكذلك العمل على تشكيل تجمعات لتفعيل المقاطعة في كل المحافظات والمناطق والدول، وتعزيز الدور الإعلامي في هذا المجال. بالإضافة لإعادة تقييم الاتفاقات الموقعة مع إسرائيل، وإحياء مكاتب لجان المقاطعة في جامعة الدول العربية وتنشيط دورها لمنع وصول المنتجات الإسرائيلية إلى الأسواق العربية.

المبحث الثاني: رد الفعل الصهيوني على إنجازات حركة المقاطعة:

¹¹⁶ خليل موسى، هل تغيرت نظرة الرأي العام الأميركي إلى الفلسطينيين؟، اندبنت عربية، 2 أغسطس 2022، <https://cutt.us/ju491>

خلال السنوات الماضية خصصت السياسة الخارجية الإسرائيلية للدعاية على المستوى الدولي أهمية ومكانة كبيرتين وملايين الدولارات، وذلك جراء ازدياد حركات المقاطعة لإسرائيل اقتصاديًا والدعوة إلى نزع الشرعية عنها. وآخر المحطات الإسرائيلية في هذا السياق، موافقة مجلس الوزراء الإسرائيلي قبل أيام على مشروع دعائي جديد تحت اسم "Solomon's Sling" (مقلاع سليمان)، ويعرف باسم Concert. ويهدف المشروع إلى تغيير الخطاب العالمي وخصوصاً على الإنترنت ومواقع التواصل الاجتماعي ضد "نزع الشرعية" حول إسرائيل من خلال "أنشطة الوعي الجماهيري".

المبادرة الجديدة التي سيقودها لابيد، تسعى لإحياء خطة "مقلاع سليمان" (مدرجة كمؤسسة منفعة عامة PBC) القديمة التي كانت تديرها وزارة الشؤون الاستراتيجية التي حُلَّت عام 2021. وتتضمن الخطة تحويل الأموال بشكل غير مباشر وسري إلى منظمات أجنبية ستنتشر الدعاية الإسرائيلية في الدول التي تعمل فيها، مع إخفاء حقيقة أنها ممولة من الحكومة الإسرائيلية. ويُريد لابيد، بحسب وسائل إعلام إسرائيلية، تجديد المشروع وتمكينه من الاستمرار في العمل على الأقل حتى نهاية 2025. ووفقاً للاقتراح المقدم، ستخصص الحكومة الإسرائيلية مبلغ 25 مليون شيكل (8 ملايين دولار) سنوياً لمدة 4 سنوات، فيما سيعمل موظفو البرنامج وممثلو وزارة الخارجية لجمع مبلغ مماثل من مصادر غير حكومية. وإذا ما نجحت عملية جمع التبرعات، بحسب ما هو مخطط له، سيكون لدى Solomon's Sling – Concert حوالي 200 مليون شيكل (64 مليون دولار) تحت تصرفها¹¹⁷.

المتحدث باسم وزارة الخارجية الإسرائيلية، ليور هايات، وخلال جلسة للكنيست (البرلمان)، قال "وزارة الخارجية عازمة على مواصلة تحسين طريقة تعاملها مع عالم نزع الشرعية بشكل كبير، مع البناء على العمل الذي أنجزته وزارة الشؤون الاستراتيجية حتى الآن، إذ ترى بوضوح مركزية التحدي الذي نواجهه أثناء دمج الأدوات السياسية مع أدوات من عالم الدبلوماسية العامة".

أحد الباحثين في معهد دراسات الأمن القومي في جامعة تل أبيب، أفنير غولوب، كان قد أوصى بضرورة استخدام إسرائيل الأدوات الدبلوماسية الرسمية وغير الرسمية من أجل بدء حوار مع أوساط ليبرالية ومعتدلة من الرأي العام الغربي. وبحسب غولوب، "يتعين على إسرائيل البدء بنشاطات موجهة نحو جاليات يهودية كبيرة ما زالت تنتقد إسرائيل علناً، وكنس مهمة تتعاطف مع قيم ليبرالية، وكذلك مع أطر أكاديمية مهمة في أوروبا والولايات المتحدة". وأشار إلى أن "فتح قنوات مثل تشجيع تعاون أكاديمي رسمي وحوار غير رسمي، أو إرسال ممثلين إسرائيليين غير رسميين إلى نقاشات مغلقة، يمكن أن يغير الديناميكية الحالية ويولد ديناميكية حوار جديدة".

المبحث الثالث: تحديات وقيود حركة المقاطعة

التحديات التي تواجهها الحركة تمت دراستها والإشارة إليها في سياقاتٍ عدة داخل الدراسة، بداية من التطبيع العربي الرسمي، وغياب المشروع الوطني الفلسطيني، وهي أسباب ذاتية قد ذُكرت في خضم الحديث عن السياق الحالي للحركة،

¹¹⁷ Omar Barghouti, Putting Palestine Back on the Map: Boycott as Civil Resistance, Op .cit, p 55

ونهايةً برد الفعل الصهيوني على الحركة والتركيز على المحور الإعلامي والدبلوماسي. ولكن تحديات الحركة كثيرة كونها واسعة الامتداد، فتواجه تحديات تبعاً لقوانين البلد الموجودة فيه، بالإضافة للعدو الأساسي لها الذي يعد السياسات على كافة المحاور الأمني منها وغير الأمني بمعناه النقدي والذي يتم أمنته أيضاً لتصبح الحركة خطر استراتيجي يُهدد أمن إسرائيل، بخطابها المعادي لظلم الاحتلال، وأساليبها السلمية. فتواجه بكافة الأساليب وعلى كافة المحاور الإعلامية والقانونية والدبلوماسية للتصدي لنشاطاتها والقضاء عليها. وبالإضافة إلى رد فعل إسرائيل، فإن حالة المناخ الدولي عامل مهم يمكن أن نقول إنه مواتٍ لإسرائيل.

نركز في هذا الجزء من الدراسة على رد فعل إسرائيل قانونياً، والمعوقات في السياق العربي والإسلامي والعالمي.

أولاً: قوانين وتشريعات إسرائيلية:

في عام 2011، أقر الكنيست الإسرائيلي قانوناً يُلاحق الناشطين في مناطق عرّفها إسرائيل بأنها "تحت سيطرتها"، ويسمح بتقديم دعوى إضرار ضد من يدعو إلى مقاطعة اقتصادية أو ثقافية أو أكاديمية ضد إسرائيل أو "منطقة تقع تحت سيطرتها"، في إشارةٍ إلى المستوطنات في الضفة الغربية وهضبة الجولان. وفي عام 2017، تعدل قانون الدخل إلى إسرائيل بإضافة بند يمنع منح تأشيرة دخول لشخص كان ضالماً بصورة نشطة في دفع حملات مقاطعة ضد إسرائيل. وتدعي السلطات الإسرائيلية أن غاية هذا التعديل للقانون هي "تزويد السلطات بأداة نافذة لمحاربة حركة المقاطعة".

عضو الكنيست الإسرائيلي، تسفي هاووزر، دعا الحكومة إلى إنشاء وحدة جديدة للدعاية الإسرائيلية، وقال إن "إسرائيل اليوم في خضم معركة دولية على الوعي، وفي مواجهة حرب استنزاف تهدد أمنها وأرصدها الاستراتيجية، وبدلاً من محاولة استخدام عشرات المنظمات ومئات الأفراد في الدعاية وفي الحرب المضادة ضد منظمات المقاطعة، كان يتعين على إسرائيل إلقاء المهمة على عاتق الجيش الإسرائيلي وتجنيدِه لمواجهة هذا التحدي الجديد، كإنشاء فرقة مثل 8200 (وحدة استخبارات في الجيش الإسرائيلي متخصصة في التجسس الإلكتروني) تعمل في الحرب على الوعي بمختلف اللغات وعلى مختلف الجبهات، وتعرض أمام العالم بصورة منهجية ومحترفة النتائج واسعة النطاق الناتجة من انهيار الشرق الأوسط. فمواجهة الإسلام الراديكالي يجب ألا تكون بواسطة القدرة العسكرية فحسب، بل بوسائل متعددة المجالات أيضاً، ووحده الجيش الإسرائيلي قادر على تنفيذ مشروع كهذا"¹¹⁸.

ثانياً: معوقات الحركة في الداخل الفلسطيني:

وبالرغم من النجاحات المتتالية التي تحقّقها حركة "BDS" على الصعيد الدولي، إلا أن تأثيرها لا يزال ضعيفاً على المستوى المحلي؛ حيث تعتبر السوق الفلسطينية في المرتبة الثانية بعد الولايات المتحدة الأمريكية من حيث تسويق المنتجات الإسرائيلية. يرجع ذلك بشكلٍ كبير إلى ضعف التنسيق ما بين الحركة والسلطة الفلسطينية؛ فالأخيرة لا تزال تعوّل على إحياء عملية السلام والمفاوضات الثنائية مع الجانب الإسرائيلي؛ حيث تتخوّف من ردّة فعله في حال أقدمت على تبني المقاطعة الشاملة. وإذا أخذنا بعين الاعتبار أن السلطة الفلسطينية محكومة باتفاقية باريس الاقتصادية التي

¹¹⁸ رغبة عتمة، إسرائيل تحيي مقلع سليمان لمواجهة حركة مقاطعة منتجاته، انديبننت، 5 فبراير 2022 <https://cutt.us/4TJnK>

تُضعف سيطرة السلطة على السوق الفلسطينية الداخلية أو تحكّمها في المعابر الخارجية، لوجدنا أن ذلك يُسهم أكثر في إضعاف المناعة الفلسطينية الداخلية أمام المقاطعة¹¹⁹.

ولكن كما يقول الدكتور المسيري "فحالة القهر حالة بنيوية تسم العلاقة بين المُستعمرين والمُستعمرين". فالاحتلال يستهدف دائماً تدمير بنية المجتمع الفلسطيني التحتية، وتدمير الصناعات المحلية، كما أن الباحث الإسرائيلي ميرون بنفنتسي كان قد أصدر دراسة بيّن فيها أنه قد تم، على مستوى من المستويات، دمج الضفة الغربية في الاقتصاد الإسرائيلي، وأنه لا يمكن العودة عن هذا الأمر¹²⁰.

كما أن المقاطعة في قطاع غزة تعتبر صعبة للغاية، لاسيما بعد هدم الأنفاق الواصلة ما بين مصر وقطاع غزة، وإحكام إسرائيل لحصارها الاقتصادي وتدمير العديد من المصانع في الحروب المتتالية على القطاع.

ثالثاً: المناخ الدولي الموالي لـ «إسرائيل»

تستفيد «إسرائيل» من المناخ الدولي الحالي على عدة أوجه؛ من أهمها:

- محاربة الولايات المتحدة للمقاطعة ومساندتها المطلقة لـ «إسرائيل»؛ كما صرح سفير الولايات المتحدة السابق في «إسرائيل» دان شابيرو على هامش مؤتمر محاربة المقاطعة الذي أقامته جريدة يديعوت أحرونوت¹²¹.

- استغلال «إسرائيل» القوانين الناظمة لعمل بعض المؤسسات والاتحادات الدولية التي توجب عدم مقاطعة الدول (الأعضاء)، لاختراق حالة المقاطعة وترسيخ التطبيق؛ ففي عام 2005 اضطرت السعودية إلى التوقيع على تعهد بوقف المقاطعة الثانية والثالثة للمنتجات الإسرائيلية كجزء من التزاماتها الانضمام إلى منظمة التجارة العالمية (WTO). وتكرر ذلك باستغلال «إسرائيل» استضافة دولة الإمارات مقر الوكالة الدولية للطاقة المتجددة «إيرينا» من أجل افتتاح ممثلية إسرائيلية في أبو ظبي في عام 2015، وعلى المنوال ذاته استغلت «إسرائيل» استضافة قطر البطولة الدولية العاشرة لكرة اليد الشاطئية (2016)، من أجل ابتعاث فريقها للمشاركة في البطولة¹²².

- عدم إلزامية قرارات المقاطعة للدول؛ ما زالت المقاطعة حتى الآن مقتصرة على مبادرة الأفراد ومؤسسات المجتمع المدني، وحتى قرار الاتحاد الأوروبي بوسم منتجات المستوطنات يعد غير ملزم للدول الأعضاء. ظهر ذلك بوضوح في قرار الحكومة البريطانية في 17 فبراير 2017 الذي ينص على منع مقاطعة الموردين الإسرائيليين بموجب قواعد حكومية جديدة، وإن المقاطعين سيواجهون عقوبات مشددة، معلنةً بذلك مخالفة توجه الاتحاد الأوروبي، وأوضح لارس أندرسون سفير الاتحاد الأوروبي في «إسرائيل» موقف أوروبا بقوله: «قطعا الدول الأوروبية ضد حركة BDS (حركة المقاطعة وسحب الاستثمارات وفرض العقوبات)، دولنا شريكة لإسرائيل، ولدينا دلائل كثيرة على ذلك، نحن الشركاء

¹¹⁹ محمود جرابعة، حركة مقاطعة إسرائيل: الإنجازات، والمعوقات، والآفاق، مركز الجزيرة للدراسات، 6 July 2015، <https://cutt.us/832mm>

¹²⁰ د. عبد الوهاب المسيري، الإنسان والحضارة والنماذج المركبة: دراسة نظرية وتطبيقية، مرجع سابق، ص 35.

¹²¹ <http://bit.ly/28Pmmof> عمر البرغوثي، القضايا الصعبة أمام حركة المقاطعة المتنامية، شبكة السياسات الفلسطينية، 22 يونيو 2016،

أشرف عثمان بدر، حركة المقاطعة ومقاومة التطبيق، مرجع سابق¹²²

الأهم لإسرائيل في المجال العلمي والتكنولوجي...مشكلة الأوروبيين تنحصر في المستوطنات فحسب، وهي تضر بعملية السلام. إن وسم منتجات المستوطنات لا يعني مقاطعتها، فالمنتجات تباع في أوروبا»¹²³
خلاصة:

تعمل حركة مقاطعة إسرائيل BDS على إنهاء التواطؤ والدعم الدوليين لنظام الاستعمار-الاستيطاني والاحتلال والفصل العنصري (الأبارتهايد) الإسرائيلي.

إن شركات كبرى مثل أورانج، وفيوليا الفرنسية و(CRH) الأيرلندية، انسحبت من الاقتصاد الإسرائيلي نتيجة ضغط حملات المقاطعة BDS ضدها، كما ازدادت عزلة و/أو خسائر الشركات، والمؤسسات، والمنظمات الإسرائيلية بسبب حركة المقاطعة، وهذا يعد شكلاً رئيسياً من أشكال دعم النضال الفلسطيني.

إن كل نجاح تحققه حركة مقاطعة إسرائيل BDS يجذب تغطية إعلامية، ويلقى الضوء على النضال الفلسطيني العادل من أجل الحقوق الفلسطينية. تُحدث حركة المقاطعة تغييراً جذرياً في نظرة العالم لإسرائيل كنظام منبوذ، يرتكب أبشع الجرائم بحق الشعب الفلسطيني، بداية بالتطهير العرقي في نكبة عام 1947-1948.

واليوم، تعتبر الحكومة الإسرائيلية أن حركة مقاطعة إسرائيل تشكل "خطراً استراتيجياً" على نظامها الاستعماري. ومن أبرز ما تتضمنه الخطة المناهضة للحركة تحويل الأموال بشكل غير مباشر وسري إلى منظمات أجنبية تنشر الدعاية في الدول التي تعمل فيها، وهذا يجعل إسرائيل لأول مرة منذ زمن في موضع دفاع عن شرعيتها المهددة.

خاتمة الدراسة

إن الإشكالية التي تتعرض لها أغلب صور المقاومة السياسية تنطلق دوماً من البحث في مدى تأثيرها وجدواها في التغيير، والسؤال الذي يلزم أن نبدأ منه في بحث هذه الإشكالية هو: هل يجب أن يكون إحداث التغيير هو الهدف من المقاومة؟

وللإجابة عن هذا التساؤل، يلزمنا ابتداءً أن نفرق بين الهدف الكلي والأهداف الجزئية للمقاومة، فالهدف الكلي لكل مقاومة بالطبع هو تحقيق التغيير، لكنه قد لا يتحقق إلا بتضافر أهداف جزئية، وهنا تبرز جدوى تنوع أشكال المقاومة وصورها، فعلى سبيل المثال: المقاومة الثقافية التي تهدف إلى عدم التعاطي مع ثقافة المحتل أو التماهي مع أعرافه وتقاليد، من أهم أسباب الحفاظ على تماسك البنية الاجتماعية للمقاوم، والمقاومة الاقتصادية التي تهدف إلى مقاطعة المستعمر وإرهاقه اقتصادياً، هي من أهم أسباب إضعاف بنيته الاجتماعية.

عمر البرغوثي، مرجع سابق.¹²³

وحركة المقاطعة BDS في هذا الشأن تشكّل أحد أشكال النضال الفلسطيني الرئيسية، وأهم صور التضامن العالمي مع نضال الشعب الفلسطيني. لقد أثبتت حركة المقاطعة أنها قادرة على إيصال إسرائيل إلى عزلة دولية في المجالات كافة، غير أن هذا يتطلب مزيداً من تفعيل المقاطعة محلياً وعربياً، ومناهضة حازمة للتطبيع بأشكاله. لكن، في النهاية، كي تنتصر في تحقيق أهدافها، أصبح جلياً أننا بحاجة إلى استراتيجية نضالية عصرية، وتفعيل لكل آليات المقاومة المدنية والعسكرية وتضافرها معاً هو ما يخلق الفرص لعزل إسرائيل دولياً وتحميلها خسائر اقتصادية واستراتيجية ومعنوية فوسفها أحد الصحفيين في نيويورك تايمز بأنها "انتفاضة ثالثة"، معتبراً أنها "ترتكز على تكتيك يقوم على جعل الإسرائيليين يشعرون بالأمان استراتيجياً ولكن بعدم الأمان معنوياً"¹²⁴. كما أن هناك خلفية فلسطينية محددة لحركة BDS حيث تم استخدام المقاطعة طوال الكفاح الفلسطيني ونشاط التضامن عبر الحدود، خاصة كما تم تطويره خلال الانتفاضة الثانية، وخلق مشاركين راغبين عبر الحدود لنشاط BDS. ومع ذلك، تختلف حركة BDS الحالية بشكل كبير عن التكتيكات والاستراتيجيات الأخرى مثل المقاومة المسلحة والمقاطعة العربية القائمة على الدولة. يختلف الأول من الناحية التكتيكية حيث لم يتم حمل أي سلاح كجزء من حركة المقاطعة، والأخيرة هي مبادرة قائمة على الدولة تختلف عن الحركة محل الدراسة التي تنظمها جهات فاعلة غير حكومية.

كما إن دلالة «المقاطعة»، يجب توسعتها، والتي تعني وقف التعامل مع إسرائيل. فمقاطعة شركات ومؤسسات إسرائيل ونشاطاتها، لا تكفي وحدها لاعتبارها استراتيجية لإنهاء الاستعمار الإسرائيلي. وعليه، يتوجب على المؤمنين بعدالة القضية الفلسطينية، إلى جانب المقاطعة الدولية أن يقوموا باتباع استراتيجيات أخرى، كدعم كافة أشكال المقاومة السرية والعلنية المنظمة وغير المنظمة، والقيام بالتعبئة الجماهيرية الميدانية. وهذه جميعها تعد أركاناً رئيسية في نجاح أي حملة مقاطعة.

وكما حدّد الباحثان في الحركات الاجتماعية وويليام غيمسون وغادي وولفسفيلد ثلاث خدمات أساسية تؤدّيها وسائل الإعلام لمجموعات المقاومة غير العنيفة: التعبئة بهدف الحصول على الدعم السياسي؛ ومنحها شرعية في الخطاب السائد؛ وتوسيع نطاق النزاع. لهذه الغاية، تتيح التغطية الإجمالية الموسّعة للحملة إمكانية التواصل مع جمهور أكبر وتعبئته، كما أنها تساهم في تعزيز شرعيتها، وتمنحها القدرة على توسيع نطاق النزاع عبر إشراك جهات كانت حتى الآن غير مطلّعة على ما يجري أو غير ضالعة فيه. فكما وضحنا في فصل سابق أن عمليات الحركة وأنشطتها تستغل منصات التواصل والشبكات للوصول للجمهور، وتوسيع نطاق النزاع، ورأينا النجاحات في العام الماضي من أوروبا إلى الجنوب وأمريكا اللاتينية.

وفي إطار المقاومة القانونية رأينا ربما استحالة- ما يمكن أن تحقّقه على مستوى المحاسبة، في ظلّ نظام دولي مُماليّ لإسرائيل كما تبين، فإنه يمكن تحقيق عدد من الأهداف الجزئية بالغة الأهمية، منها: -توفير الغطاء القانوني للكفاح المسلّح الفلسطيني، والتأكيد على فكرة أن القضية الفلسطينية قضية صراع تحرّري لا نزاع سياسي.

¹²⁴ آدم غالاغر، تأثير وسائل الإعلام على حملة مقاطعة إسرائيل، مركز كارنيغي، 18 مارس 2014، <https://cutt.us/kVFCx>

-توفير الغطاء السياسي لاستنهاض مشروع سياسي فلسطيني قويم داعم لكفاح داخلي حقيقي لا يُمكن لأحد الهيمنة عليه.

- تنشيط التفاعل مع الحركات الشعبية والفاعلين السياسيين والحملات المدنية الداعمة لتحرُّر إقليمياً ودولياً (جماعات الضغط) لاسيما على المستويين الاقتصادي والاجتماعي، وهما المستويان الأكثر أهمية في أي مشروع تحرُّري.

-فتح ملف اللاجئين ومعاناتهم -خصوصاً في دول الجوار- والتعاطي معه بصورة أكثر إيجابية. وهذه الأهداف الجزئية وغيرها تُصَبُّ جميعاً في صالح تحقيق الهدف الكلي للمقاومة وهو إزاحة المُحتل. ربما كل هذه التحركات لن تُرغم الحكومة الإسرائيلية في الحال على تغيير سياساتها. إلا أنه لا حاجة إلى أن تؤدي هذه الحملة إلى شلّ الاقتصاد الإسرائيلي على الفور؛ بل إن "المطلوب من المقاطعة هو أن تستمر في النمو، قطرةً قطرة... حتى تتجح"، كما أكد لاري درفنر مؤخراً¹²⁵.

قائمة المراجع

أولاً: المراجع العربية

الكتب

- 1- إستراتيجيات المقاومة: أعمال المؤتمر السنوي الثالث، (رام الله: المركز الفلسطيني لأبحاث السياسات والدراسات الاستراتيجية-مسارات، يناير 2014).
- 2- إيلان بابيه، عشر خرافات عن إسرائيل، ترجمة سارة ح. عبد الحليم، (بيروت: مؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، 2018).

¹²⁵ آدم غالغر، تأثير وسائل الإعلام على حملة مقاطعة إسرائيل، مرجع سابق.

- 3- د. بشير أبو القرايا، النموذج الانتقاضي الفلسطيني دراسة في الحركة الوطنية والظاهرة الإسلامية، (بيروت: الدار العربية للعلوم، 2014).
- 4- تشارلز ترييب، السلطة والشعب... مسارات المقاومة في الشرق الأوسط، ترجمة: ربيع وهبة، (بيروت: الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ط1، 2016).
- 5- د. عبد الوهاب المسيري، الإنسان والحضارة والنماذج المركبة: دراسات نظرية وتطبيقية، (القاهرة: دار دون، الطبعة الثالثة، يناير 2019).
- 6- غسان الخطيب، آفاق المقاطعة الفلسطينية الاقتصادية لإسرائيل: أشكالها وإشكالياتها، (رام الله: المركز الفلسطيني للبحوث السياسية والمسحية، 2016).
- 7- المستشار طارق البشري، أمتي في العالم -مقدمات الحكيم البشري، (القاهرة: دار البشير، مركز الحضارة للدراسات السياسية، 2014).
- 8- معاذ مصلح، السياسات الصهيونية لمحاربة حركة المقاطعة وطرق تفكيكها، (رام الله: المركز الفلسطيني لأبحاث السياسات والدراسات الاستراتيجية- مسارات، فبراير 2018).
- 9- د.هاني محمود، المقاومة الحضارية: دراسة في عوامل البعث في قرون الانحدار، (القاهرة: دار البشير، مركز الحضارة للدراسات السياسية، 2017).
- 10- وليد الخالدي، خمسون عاماً على حرب 1948 أولى الحروب الصهيونية-العربية، (بيروت: دار النهار للنشر، 1998).

الدوريات

- 1- عبد الباسط خلف، بيتا وبرقة نموذجان للمقاومة الشعبية، مجلة الدراسات الفلسطينية، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، العدد 30، ربيع 2022، <https://cutt.us/gGS20>.
- 2- عقل صلاح، دراسة حركة حماس من منظور هيكل الفرص السياسية، مجلة جيل الدراسات السياسية والعلاقات الدولية، العدد 18، يوليو 2018.
- 3- عقل محمد أحمد، مفهوم هيكل الفرص السياسية وتطور الحركات الاجتماعية، مجلة كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، جامعة القاهرة، مجلد 16، العدد 3، يوليو 2015.
- 4- عمرو سعد الدين، السياق الفلسطيني لنشوء حركة مقاطعة إسرائيل BDS، مجلة الدراسات الفلسطينية، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، العدد 109، شتاء 2017، <https://cutt.us/zGEmv>.
- 5- عمر البرغوثي، حركة مقاطعة إسرائيل (BDS)، مجلة الدراسات الفلسطينية، العدد 99، صيف 2014، <https://cutt.us/P0AKx>.
- 6- محمود عبد الحفيظ المهر، الحركات الاجتماعية والفرصة السياسية، المجلة العربية للعلوم السياسية، عدد 27، صيف 2010.

- 7- د.نادية مصطفى، الهجمات الحضارية على الأمة وأنماط المقاومة: بين الذاكرة التاريخية والجديد منذ الثورات العربية، في: نادية مصطفى (إشراف)، أمّتي في العالم: المشروع الحضاري الإسلامي: الأزمة والمخرج، (القاهرة: مركز الحضارة للدراسات السياسية، 2017).
- 8- ناهد عز الدين، مفهوم هيكل الفرص السياسية: صلاحية الاستخدام كأداة تحليلية في دراسة العمل الجماعي، جامعة القاهرة: مجلة النهضة، العدد 1، يناير 2005.
- 9- يزيد صايغ، الكفاح المسلح وتكوين الدولة الفلسطينية، مجلة الدراسات الفلسطينية، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، المجلد 8، العدد 32، خريف 1997، <https://cutt.us/0luA5>

الرسائل:

- 1- رانيا جهاد القاسم، إستراتيجية النضال العابر للقوميات في التحرر الوطني: الحركة الفلسطينية للمقاطعة، وسحب الاستثمارات، وفرض العقوبات نموذجاً، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، 2018.

تقارير ودراسات (مواقع إنترنت):

- 1- المشهد الإسرائيلي 2020: تقرير 'مدار' الاستراتيجي 2021، مدار، 8 أبريل 2021، <https://cutt.us/8RBub>
- 2- آدم غالاغر، تأثير وسائل الإعلام على حملة مقاطعة إسرائيل، مركز كارينجي، 18 آذار/مارس 2014، <https://cutt.us/kVFCx>
- 3- أبرز نجاحات حركة التضامن العالمية مع حقوق الشعب الفلسطيني في العام 2021، اللجنة الوطنية الفلسطينية للمقاطعة، 4 يناير 2022، <https://cutt.us/V3Zpd>
- 4- بشير أبو القرايا، المقاومة المدنية في الضفة الغربية في مواجهة الاستيطان الإسرائيلي، مركز الحضارة للدراسات والبحوث، 11 إبريل 2017، <https://cutt.us/Vusyj>
- 5- تسلسل للتاريخ الفلسطيني منذ الحرب العالمية الأولى، BBC، 27 يوليو 2017، <https://cutt.us/7tlpC>
- 6- خليل موسى، رفض إسرائيلي وترحيب فلسطيني بتقرير أمستي عن الفصل العنصري، اندبنت عربية، 4 فبراير 2022 <https://cutt.us/Lqb8i>
- 7- رازي نابلسي، "التطبيع": تأييد وجود إسرائيل، مجلة الدراسات الفلسطينية، العدد 130، ربيع 2022، <https://cutt.us/H9sFJ>
- 8- رازي نابلسي، عن الضم إسرائيلياً: على ماذا الخلاف؟، موقع حبر، 19 يوليو 2020، <https://cutt.us/4hlOB>

- 9- ربي عنبتاوي، مقابلة مع عمر البرغوثي، آفاق البيئة والتنمية، 28 أغسطس 2014،
<https://cutt.us/AUAap>
- 10- رجا الخالدي، آفاق المقاطعة الاقتصادية الفلسطينية لإسرائيل، السفير العربي، 24 مارس
 2016، <https://cutt.us/tg6sn>
- 11- رغبة عتمة، إسرائيل تحيي مقلاع سليمان لمواجهة حركة مقاطعة منتجاته، اندبندنت، 5 فبراير 2022
<https://cutt.us/4TJnK>
- 12- عمر البرغوثي، القضايا الصعبة أمام حركة المقاطعة المتنامية، شبكة السياسات الفلسطينية،
 22 يونيو 2016، <http://bit.ly/28Pmmof>
- 13- قانون مقاطعة إسرائيل، يونيو 1955، <https://cutt.us/hlwAP>
- 14- ماهر الشريف، قطار التطبيع الرسمي العربي-الإسرائيلي يتسارع: البحرين، بعد المغرب، توقع
 اتفاقاً أمنياً مع إسرائيل، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 7 فبراير 2022، <https://cutt.us/WLrod>
- 15- محمود جرابعة، حركة مقاطعة إسرائيل: الإنجازات، والمعوقات، والآفاق، مركز الجزيرة
 للدراسات، 6 July 2015، <https://cutt.us/832mm>
- 16- محمد علي الخالدي، الأسس الأخلاقية لحركة المقاطعة والانتقادات الموجهة ضدها، مؤسسة
 الدراسات الفلسطينية، 20 أكتوبر 2016، <https://cutt.us/jWk8q>
- 17- موقع حركة المقاطعة BDS، <https://cutt.us/f3tNj>
- 18- مروة يوسف، خبرة تطور الصراع العربي الإسرائيلي: الاحتلال والمقاومة عبر مائة عام، مركز
 الحضارة للدراسات والبحوث، 9 أكتوبر 2017، <https://cutt.us/F1oBa>
- 19- نص استقالة د. ريماء خلف، السفير العربي، 19 مارس 2017، <https://cutt.us/iGLIo4>

ثانيًا: المراجع الإنكليزية

Books

- 1- Baramki ,Gabi, Peaceful Resistance: Building a Palestinian University unde Occupation (New York: Pluto Press, 2010).
- 2- Barghouti, Omar, Boycott, divestment, sanctions: The global struggle for Palestinian rights. (Chicago, IL: Haymarket Book, 2011).
- 3- Clyde Hufbauer, Gary .. et al. Economic Sanctions Reconsidered, (Washington, DC: Peterson Institute for International Economics, 3rd ed, 2007).

- 4– Feiler, Gil. From Boycott to Economic Cooperation: The Political Economy of the Arab Boycott of Israel (London: Frank Cass Publishers, 1998).
- 5– Gerges, F.A. (eds) Contentious Politics in the Middle East. Middle East Today.(Palgrave Macmillan, New York. 2015, <https://cutt.us/rqcrz>).
- 6– Hackbarth, Connie (ed), Economy of the Occupation, Socioeconomic Bulletin, № 23, (Beit Sahour, the Alternative Information Center (AIC), October 2009)
- 7– Keck ,Margaret and Skinks, Kathryn, Activists Beyond Borders: Advocacy Networks in International Politics (New York: Cornell University,1998).
- 8– Morrison, Suzanne The Boycott, Divestment, and Sanctions Movement: Activism Across Borders for Palestinian Justice(London :London School of Economics for the degree of Doctor of Philosophy, October 2015).
- 9– Pappé, Ilan, A history of modern Palestine: one land, two peoples. (Cambridge: Cambridge University Press, 2006).
- 10– Sa'di, A., & Abu-Lughod, L. Nakba: Palestine, 1948, and the claims of memory (Columbia University Press, 2007).
- 11– Sayigh, Yezid, Armed Struggle and the Search for State: The Palestinian National Movement 1949–1993 (Oxford: Oxford University Press, 2000).
- 12– Tilly, Chris and Hanagan, Michael (Editors), Contention and Trust in Cities and States, (Switzerland: Springer Netherlands, 2011).

Periodicals

- 1– Barghouti, Omar, Putting Palestine Back on the Map: Boycott as Civil Resistance, *Journal of Palestine Studies* 35, no. 3 ,2006, p 55
- 2– Benford, Robert and Snow, David Ideology, Frame Resonance, and Participant Mobilization, *International Social Movement Research*, ISSUE no. 1, 1988.
- 3– Falk, Richard and Tilley, Virginia Q. "Israeli Practices towards the Palestinian People and the Question of Apartheid." *Palestine and the Israeli Occupation*, Issue No. 1, Spring 2017. <https://cutt.us/BsRDq>

4– Sophia Abdellah, Complicity and Apartheid: On Campaigning for Palestinian Rights in Belgium, al-Majdal magazine, issue 54 ,Autumn 2013.

OLINE REPORTS and articles

1– Ahmad, Bina and White, Ben and others, Shrinking Space and The BDS Movement, Transnational Institute and the Institute for Policy Studies, 13 November 2018, available at: <https://cutt.us/GaTTi>

2– Darwish, Mahmoud. Mahmoud Darwish, Our Catastrophe was the Creation of Israel, The Guardian (London), 14 May 2001, <https://cutt.us/avuL8>

3– HOROVITZ, DAVID Israel losing Democrats, ‘can’t claim bipartisan US support,’ top pollster warns, THE TIMES OF ISRAEL, July 2015, <https://cutt.us/tcxs2>

4– Shrinking Space for Civil Society, FISH, available at: <https://cutt.us/TLdCx>

5– Thorn, Hakan, Solidarity Across Borders: The Transnational Anti-Apartheid Movement. *Voluntas* **17**, November 2006, pp285–301.

<https://doi.org/10.1007/s11266-006-9023-3>

6– Why Israel Fears the Boycott, The New York Times, 31 January, 2014, available at: <https://cutt.us/oz4sF>

7– Yuval Ben-Ami, About Face, Haaretz, Sep 20, 2005, <https://cutt.us/IWKCB>